قضايا طبية فقهية

الصوم بين الطب والفقه

تأليف

الدكتور محمد علي البار

استشاري أمراض باطنية

مستشار الطب الاسلامي

زميل الكلية الملكية للأطباء بلندن

الدكتور حسان شمسي باشا

استشاري أمراض القلب

في مستشفى الملك فهد للقوات المسلحة بجدة

زميل الكلية الملكية للأطباء بلندن وجلاسجو ودبلن

زميل الكلية الأمريكية لطب القلب

الدار السعودية للنشر والتوزيع

Saudi Publishing & Distributing House

الدار السعودية للنشر والتوزيع

أسست في جدة - المملكة العربية السعودية - غرة ربيع الثاني ١٣٨١ هـ

الطبعة الأولى

١٤١٩ هـ - ١٩٩٩م

جميع الحقوق محفوظة

تنبيـــه

لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب أو اختزان مادته بطريقة الاسترجاع أو نقله على أي نحو أو بأي طريقة سواء كانت اليكترونية أو ميكانيكيه أو بالتصوير أو بالتسجيل أو خلاف ذلك إلا بموافقة المؤلف والناشر على هذا كتابة ومقدما.

الدار السعودية للنشر والتوزيع، ١٤١٩هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

البار ، محمد علي
باشا، حسان شمسي
الصوم بين الطب والفقه
١٥٤ صفحه مقاس: ١٤×٢٠ سم
ردمك: ٩-٠٤٢-٢٦-٩٩٦٠
١ - قضايا طبية فقهية أ - العنوان
ديوي:٣,٢٥٢
رقم الإيداع: ١٩/٠٧٩٢

المملكة العربية السعودية
جدة - المركز الرئيسي البغدادية - عمارة الجوهرة
ت:٦٤٤٦٣٠٨ - ٦٤٢٤٢٥٥ - ٦٤٢٤٠٤٣
فاكس: ٦٤٣٢٨٢١ ص.ب ٢٠٤٢
جدة ٢١٤٥١/ برقيا: نشر دار
المستودعات - ت: ٠٥٥٦٠١١١٧
فرع الدمام: ص.ب ٨٩٩ الدمام ٣١٤٢١
ت: ٨٣٤٧٧٦٩ - فاكس: ٨٣٣٥٥٢٠
قسم الجملة: هاتف ٨٣٤٨٣٨٢
المكتبات: ش الظهران ت: ٨٣٢٣٥١٥
ش الملك سعود - مجمع الحياة بلازا
ت: ٨٣٢٧٤٥٢
فرع الرياض: ص.ب ٢٩٩٩ الرياض ١١٤٦١
ت: ٤٦٤٥٧٦٧ / ٤٦٤٧٨٩٤- فاكس:٤٦٤٥٧٦٧

جمهورية مصر العربية
دار القارئ العربي
١٤ شارع عبد الله دراز - أرض الجولف
مصرالجديدة - القاهرة
هاتف: ٢٩٠٦٧١٥ فاكس: ٢٩٠٦٧١٧

UNITED KINGDOM

Makkah Advertising int'l
Crown House, Crown Lane
East Burnham, Bucks SL2 3SQ
United Kingdom
Tel:(01753) 648701
Fax:(01753) 648707

USA

New Era publications
P.o. Box 130109, Ann Arbor
MI 48113 - 0109

الصوم بين الطب والفقه

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــة

الحمد لله الذي منَّ على المسلمين بشهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن وفرض صيام نهاره، وندب الى قيام ليله على لسان رسوله قال تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كُتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون أياماً معدودات فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطّوع خيراً فهو خير له وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون شهر رمضان الذين أنزل فيه القرآن هدى للناس وبيّنات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدّة ولتكبرّوا الله على ماهداكم ولعلكم تشكرون ﴾ "البقرة ١٨٣-١٨٥"

والصلاة والسلام على نبيه المجتبي وآله النجباء وصحابته الأتقياء والذي قال ﷺ في الحديث الصحيح عن رب العزة : " كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فانه لي وأنا أجزي به يدع طعامه وشهوته من أجلى ، ويدع لذته من أجلي ويدع زوجته من أجلي " أخرجه ابن خزيمة في صحيحه عن أبي هريرة مرفوعا .

وبما أن مشكلة المفطرات في مجال التداوي من المشكلات المتكررة التي تواجه جمهور المسلمين فقد قام مجمع الفقه الاسلامي الموقر ببحث هذا الموضوع من جوانبه المتعددة في دورتين من دوراته هما الدورة التاسعة والدورة العاشرة المنعقدتين في (أبو ظبي) بدولة الإمارات المتحدة ١٤١٥هـ، وفي جدة بالمملكة العربية السعودية ١٤١٨هـ. كما بحثت هذا الموضوع الندوة الفقهية الطبية التاسعة المنعقدة بالدار البيضاء (المغرب) في ٨ - ١١ صفر ١٤١٨هـ الموافق ١٤-١٧ يونيه والتي أقامتها وشاركت فيها المنظمات الهيئات التالية :

(١) المنظمة الاسلامية للعلوم الطبية - الكويت .

(٢) مجمع الفقه الاسلامي - جدة .

(٣) مؤسسة الحسن الثاني للأبحاث العلمية والطبية عن رمضان - الدار البيضاء .

(٤) المنظمة الاسلامية للتربية والعلوم والثقافة - الرباط .

(٥) منظمة الصحة العالمية - المكتب الاقليمي - الاسكندرية .

وقد قدم كلٌ منا بحثاً في موضوع المفطرات في مجال التداوي، كما قدم العديد من الفقهاء الأجلاء والأساتذة الأطباء أبحاثاً مماثلة . وقد استفدنا من المناقشات المستفيضة التي كان لنا شرف المشاركة فيها، ومن ثمَّ صدرت القرارات والتوصيات . . وهي قرارات وتوصيات هامة يسترشد بها العلماء المفتون في كافة أرجاء العالم الاسلامي، كما يستفيد منها الملايين من عامة المسلمين .

وقد رأينا أن نضع الأبحاث التي قدمناها في هذه المجامع الفقهية مع القرارات والتوصيات ليطلع عليها الجمهور الواسع ممن يتلهف على معرفة أحكام دينه في هذه المعضلات التي تجدّ وتظهر، وهي هنا في نطاق محدود هو الافطار في مجال التداوي . وقد وضع أحدنا (وهو الدكتور حسان شمسي باشا) دليلا للمريض في شهر الصيام يتناول العديد من الأمراض التي لايعرف المريض في الغالب الأعم، هل يصوم أثناءها أم يفطر . وذلك لأن الآراء تتضارب . وقد أوضح الدكتور حسان الموقف الطبي والفقهي في هذه الحالات، وإن كان الحكم في كثير منها

يعتمد على حالة المريض، ويعود الرأي النهائي الى الطبيب المعالج الذي ينبغي أن يكون مسلماً ملتزماً بشعائر الدين لأن أقوال غير المسلم وغير الملتزم بتعاليم الاسلام لايعتمد عليها في مواضيع تمسّ أحكام الشرع الحنيف، وإن كانت متعلقة أيضاً بالطب، فلابدّ في هذه القضايا من الاستماع لرأي الطبيب الحاذق المسلم، وهم بحمد الله غير قليل وموجودون في كافة الأقطار.

وقد قدمنا لهذه الأبحاث بمقالتين أحداهما بعنوان " فقه الصحة في رمضان " لتعلقها بموضوع الصوم والأمراض وفقه الصحة في شهر الصوم، ومعنى الأوامر النبوية الكريمة بتعجيل الفطور، والفطر على رطبات أو تمرات وأهمية السحور والمحافظة على السواك واجتناب التدخين وبعض فوائد صلاة التراويح وأهمية عدم الكسل والخمول في رمضان وإتقان العمل فيه . .

والثانية بعنوان " الصوم جُنة " وهي تستعرض بحثاً رائداً لمجموعة من الأطباء في الدار البيضاء بالمغرب اختاروا ١٨٦٠ شخصاً بالغاً لايعانون من أي مرض بالجهاز الهضمي. وبعد دخول شهر رمضان أصيب ١٢,٤١ بالمائة منهم بأعراض سوء الهضم الشديدة، وذلك بسبب العادات السيئة المخالفة لهدف

الصيام وغايته حيث كان هؤلاء ممن يسرفون على أنفسهم في الأكل والشرب طوال الليل وخاصة في وجبة السحور مما يؤدي في اليوم التالي إلى آثار سوء الهضم والبطنة.

هذا يوضح أن عدداً كبيراً من الصائمين لايستفيد من حكمة الصوم في الاقلال من الطعام والشراب حيث يتحول الشهر الفضيل إلى احتفالات بموائد الطعام بحيث نستهلك في رمضان أضعاف مانستهلكه في بقية الشهور.

وماهكذا ينبغي أن يكون شهر الصوم والعبادة والتقرب إلى الله تعالى بأنواع القربات والطاعات. قال تعالى ﴿ وكلوا واشربوا ولاتسرفوا ﴾.

والصوم فرصة يتيحها الرب الكريم لاذابة الشحوم وماتراكم منها خلال العام وإذابة قسوة القلب المعنوية والمادية. فأما المعنوية فبالتشمير في الطاعات وقراءة القرآن وصلة الأرحام ورحمة الفقراء والمساكين، وأما المادية فبالاقلال من تراكم الشحوم والدهون (الكوليسترول وغيره) التي تسبب تصلب الشرايين وقسوتها فتؤثر على القلب مسببة الذبحة الصدرية أو جلطة القلب، كما تؤثر على شرايين الدماغ مسببة السكتة الدماغية وأنواع الشلل.

وخفض السمنة والدهون يقلل من مخاطر أمراض البول السكري وضغط الدم والتهاب المرارة وحصواتها والتهاب المفاصل والمضاعفات للعمليات الجراحيةوصعوبات الجهاز التنفسي والاصابة بالسرطان . . وكلها مرتبطة بالسمنة التي انتشرت انتشاراً ذريعاً في بلاد الوفرة وخاصة في دول الخليج بعد الطفرة البترولية .

ومما يزيد هذه المشاكل تعقيداً انتشار التدخين بصورة وبائية لدينا رغم انحساره في أوربا والولايات المحدة والبلاد المتقدمة صناعيا .

وشهر الصوم هو شهر الارادة ويعطي الصائم فرصة ثمينة في التحكم في رغباته وشهواته وبالتالي تعطيه فرصة لاتعوض في الاقلاع عن التدخين .

والله نسأل أن ينفع بهذه الأبحاث من يقرأها ويطلع عليها وأن يكتب الأجر لكاتبيها وناشرها . إنه ولي ذلك وله الحمد أولاً وآخراً .

محمد علي البـــار　　حسان شمسي باشا

الفصل الأول

- الصوم جُنَّـة
- فقه الصحة في رمضان
- المفطرات في مجال التداوي

« الصـــوم جُنَّـــة »[1]

ما أن يقترب شهر الخير والبركة والعطاء والبذل، شهر رمضان المبارك الا ويستعد الناس لشراء مختلف الأطعمة . . وتتحرك الأسواق الراكدة . . ويتم في هذا الشهر العظيم شراء ما يوازي السنة بأكملها من مختلف أنواع الأطعمة . . وتقوم السيدات في البيوت بطهي وتحضير مالذّ وطاب منها . .

معذرة . . لماذا يسمونه شهر الصيام؟ أما كان الأجدر أن يسمىّ شهر الموائد والطعام؟!

تقول الأبحاث أن الصوم (الحقيقي) هو العلاج الأمثل لعسر الهضم ومايمثّله من أعراض مثل الانتفاخ والتجشؤ وحموضة المعدة والغثيان ومرارة الطعم في الفم وإحساس

(١) مقالة للدكتور محمد على البار نشرتها "عكاظ" في ٣ رمضان ١٤١٨هـ/ الأول من يناير ١٩٩٨ (العدد ١١٤٦٠ ص ٨).

بالغثيان قد يصل إلى درجة القيء مع إحساس بالضيق والامتلاء بعد الوجبات الدسمة الثقيلة . .

ولكن ياترى ماهو الواقع الحقيقي في شهر الصوم، شهر الامتناع عن الطعام والشراب والشهوات طوال النهار؟

للأسف الشديد تدّل عيادات الأطباء والمستشفيات على أن المراجعين والمترددين على المستشفيات الذين يعانون من آثار سوء الهضم والبطنة التي تُذهب الفطنة يزدادون في هذا الشهر العظيم، لايقلّون، كما هو متوقع . .

وقد قام بعض الباحثين من الدار البيضاء في المغرب بدراسة ميدانية لمن يعانون من سوء الهضم في رمضان فقاموا باختيار ١٨٦٠ شخصاً من البالغين (١٥ سنة فما فوق) من الرجال والنساء (متوسط العمر ٣٥ سنة ونصف) وبدأت الدراسة من آخر شعبان وكان يشترط أن يكون هؤلاء أصحاء لايشكون من أي أعراض من أعراض سوء الهضم المذكورة أعلاه. وقد ذهل الباحثون عندما وجدوا أن ١٢,٤١ بالمائة كانوا يعانون من سوء الهضم في الاسبوع الأول من الشهر الكريم. . وبحساب سكان الدار البيضاء وجد أن ٣٣٠,٠٠٠ شخصاً قد عانوا من سوء الهضم في هذا الشهر الكريم !!؟

ماهو ياتُرى السبب في هذا الحدث غير المتوقع إذ أن الصيام معروف على مدى الأزمنة المتطاولة والقرون المتباعدة أنه أفضل علاج لسوء الهضم؟

يرجع السبب إلى العادات المتفشية في بلاد المسلمين جميعاً حيث أنهم يأكلون في رمضان أضعاف ما يأكلونه في غير رمضان !! وهذه الأسواق تشهد بذلك فهي تعاني من الركود في معظم العام ومايكاد رمضان يقترب وشعبان ينتصف حتى تبدأ الأسواق في الحركة والانتعاش . . تزداد هذه الحركة شدة مع بداية الشهر الفضيل وتبلغ مداها في الأسبوع الأول منه .

وتقوم السيدات في البيوت بتقديم طلبات طويلة وقوائم متعددة لازواجهن حتى يُحضر هؤلاء الأزواج هذه المواد والأطعمة . . أو أن الزوجة تنطلق إلى الأسواق بعد أن تصادر ميزانية زوجها ومايكون قد أدخرّه خلال العام (إن كان قد أدخر شيئاً)، أو عليه بالاستدانة حتى تستطيع أن تملأ دواليب المطبخ والخزانة والثلاجة بأنواع الطعام . .

وتعمل السيدات جاهدات طوال الشهر لإرضاء شهوة لطعام لدى أزواجهن وبقية أفراد الأسرة ويتفنّنن تفننا مذهلاً في أنواع الأطعمة والحلويات ويبذلن في ذلك قصارى جهدهن . .

وفي كثير من البيوت وخاصة في منطقة الخليج تزداد الأعباء المنزلية لدرجة أن ربة البيت لاتستطيع وحدها القيام بها فلابد من الشغّالة (العاملة المساعدة) . . هذا إن لم يكن في البيت واحدة أو أكثر منهن .

وتبدأ الحركة في البيوت من بعد صلاة الظهر ويستمر الاعداد للطعام الى قرب آذان المغرب . . ثم تبدأ معركة الكل مع الطعام . . والانتقام لساعات الصيام . . ثم سهرات متواصلة مع المسلسلات التليفزيونية والمسابقات الرمضانية مع تناول المكسرات والحلويات طوال الليل حتى إذا آذن الليل بالانصرام وارتفعت قليلا سجف الظلام جاءت الوقعة الأخيرة في وجبة السُحور التي تترك بعدها من يأكلها مبهور الأنفاس قليل الحركة متخم البطن، يتجشأ طوال نهاره، يتقلب في نومه، تطارده الكوابيس، وتنغّص عيشه قرقرات بطنه وغازات أمعائه مع حرقة ولذع في شراشيف البطن وتحت القصّ وغثيان وتجشؤ وإحساس بالضيق والكرب، فإن كان عليه أن يذهب الى العمل قام متثاقلاً بطيء الحركة خبيث النَفْس، كريه النَفس يشكو جليسه من البَخَر . . فما يكاد يعمل قليلا الا وضاقت عليه السُبل سيء الخُلق مع خَلْق الله أجمعين ممن يضطرون إلى مقابلته أو التعامل معه . .

فإذا عاتبه أحد أو نصحه ناصح قال : إني صائم إني صائم !! لكأنما الصوم عذر لسوء الأخلاق وترك العمل وعدم بذل المجهود . . فشهر الصوم عند معظم المسلمين اليوم شهر النوم والكسل في النهار وكثرة الأكل ولعب الورق (الكوتشينة ، البلوت . . الخ) مع مشاهدة المسلسلات والمسابقات التليفزيونية في الليل . .

ولا أريد أن ألومك وحدك ياسيدتي فأنت ربة البيت وأنت طاهية الطعام الشهي اللذيذ . . ولكني ألوم معك رب البيت فهو الذي يدفعك لارضائه بهذه الوجبات الدسمة وهذه الأكلات الشهية . . وهذه الحلويات التي يسيل لها اللعاب وتقرقر لها البطن ثم تنتفخ بعد ذلك وتعاني من اللذع والحَرق مع القَلَس والحموضة والتجشؤ والغثيان . . وفي النوم كوابيس متكررة وشخير متصل يزعج الجيران . . وليس فقط من ينام بجانبه . .

وكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته فالرجل راع في بيته وولده والمرأة راعية في بيتها وولدها . وكلكم مسئول عن رعيته .

ويكفينا في التحذير من البطنة قول الله تعالى ﴿ وكلوا واشربوا ولاتسرفوا إنه لايحب المسرفين ﴾ وقول المصطفى صلوات ربي وسلامه عليه " ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه بحسب ابن آدم أكلات (وفي رواية لقيمات) يقمن صلبه فإن كان

لامحالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه" .

وقول عمر رضى الله عنه : " اياكم والبطنة فانها مفسدة للجسم مورثة للسقم مكسلة عن الصلاة . وعليكم بالقصد فإنه أصلح للجسد وأبعد عن السرف وإن الله تعالى ليبغض الحبر السمين " . وقد رُوى مرفوعا إلى النبي ﷺ . . وأيا كان فإن هذه الكلمات عن مشكاة النبوة صادرة . والبطنة تؤدي إلى السمنة وإلى الأمراض العديدة المرتبطة بها، وقد أثبتت الأبحاث العديدة ارتباط السمنة بالأمراض التالية :

١ - جلطات القلب وموت الفجأة .

٢ - البول السكري .

٣ - ضغط الدم .

٤ - التهاب المرارة وحصواتها .

٥ - التهاب المفاصل .

٦ - صعوبات الجهاز التنفسي (بَهر النَفَس) .

٧ - زيادة المضاعفات للعمليات الجراحية .

٨ - زيادة حالات السرطان .

وتزداد المضاعفات والمشاكل التي تحدثها السمنة مع التدخين وخاصة الاصابة بتصلب الشرايين وجلطات القلب

والدماغ. كما أن السمنة مرتبطة بالبول السكري وضغط الدم . .

وقد زاد البول السكري في منطقة الخليج زيادة مرعبة حتى وصل إلى أرقام وبائية وذلك مع دخول الرفاهية وعصر البترول والرموت كنترول . . وعدم الحركة واستخدام السيارة في كل مشوار وترك المشي . . واستخدام المصعد بدل الصعود والنزول على السلالم . . وكثرة الأكل مع وفرته وتنّوعه.

وقد زادت الهجمة على العالم الثالث من شركات التدخين بعد أن واجهت هذه الشركات حرباً ضروساً في الولايات المتحدة وأوربا والعالم الصناعي، فما بقى أمامها سوى العالم الثالث تغزوه وتدمّره وتمتص ثرواته . . فهذه الشركات تبيع من التبغ أضعاف مايبيعه تجار الحشيش والأفيون . . وتقتل دون ريب أضعاف أضعاف مايقتلون، حيث تقرر منظمة الصحة العالمية أن الذين يلقون حتفهم بسبب التدخين يبلغون أكثر من ثلاثة ملايين شخص كل عام بينما لايبلغ ضحايا المخدرات عشرات الألوف، وإذا أخذنا أرقام الولايات المتحدة مثالا فإن احصائيات عام ١٩٩٤م توضح أن ضحايا التدخين بلغوا أكثر من أربعمائة ألف نسمة بينما ضحايا المخدرات كلها مجتمعة بما فيها جرائم العصابات كانت عشرين ألفاً فقط. وفي بريطانيا (المملكة

المتحدة) كان ضحايا التدخين ١٤٠,٠٠٠ (مائة وأربعين ألفاً) بينما لم يبلغ ضحايا المخدرات المائتين (١٨٧ فقط) وازداد استيراد التبغ في المملكة العربية السعودية من ٤,٥ مليون كيلو جرام عام ١٩٧٢ ليبلغ ٤٢ مليون كيلو جرام عام ١٩٨٤ وهي أكبر زيادة سجلّها أي قطر في العالم . . وفي عام ١٩٩٤ كانت الكمية قد جاوزت ٤٥ مليون كيلو جرام من التبغ (يساوي الكيلو جرام ١٢٥٠ سيجارة تقريباً). هذا رغم الحملات المكثفة التي تزداد يوماً بعد يوم ضد التدخين .

وها هو هذا الشهر الكريم يقبل وهو فرصة طيّبة وكريمة يتيحها الرب الغفور للتوقف عن التدخين . . والاعتدال في الطعام والشراب . . وأن يستفيد المسلم من هذا الشهر الكريم فيقلل من الطعام والشراب ويتحكم في شهواته ويتغلب على أهوائه فالصوم شهر الصبر . "والصوم جُنّة أي وقاية " . كما يقول ابن القيم " وهو من أدواء (أي أدوية) الروح والقلب والبدن. وله تأثير عجيب في حفظ الصحة وإذابة الفضلات، وحبس النفس عن تناول مؤذياتها، لاسيّما إذا كان باعتدال وقصد في أفضل أوقاته شرعا وحاجة البدن إليه طبعاً. وفيه إراحة القوى والأعضاء مايحفظ عليها قواها. وفيه خاصيّة تقتضي

إيثاره، وهي تفريحة للقلب عاجلاً وآجلاً مشيراً بذلك إلى قوله ﷺ "للصائم فرحتان . . فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه" .

وعليه أن يجعل نيته لله خالصة ويتذكر قول المصطفى ﷺ " من صام رمضان إيمانا واحتسابا غُفر له ماتقدم من ذنبه " أخرجه الشيخان البخاري ومسلم فإذا أَخلص النية أقبل المؤمن على الصيام بسرور ولذة لاتعدلها لذة . . فإذا عرف ذلك كله وتهذبت نفسه واتصل بالملأ الأعلى وصار كالملائكة في يوم صومه لا يأكل ولايشرب، ولايغتاب ولاينّم ولايصخب ولايفحش، وامتلأت جوانحه بالرحمة والمحبة لأخوانه المسلمين . . ووصل رحمَه وأقاربه، وامتدت يده بالبر والخير الى المحتاجين والضعفاء والبائسين والأرامل والأيتام أورث ذلك في قلبه نورا لاينطفىء، بل يزداد يوماً بعد يوم حتى يلقى الله تعالى فيجعل له نوراً من بين يديه ومن خلفه . . وإذا بهذا النور والشفافية تنعكس على أفعاله وأقواله، وعلى جسمه وبدنه وعلى من حوله ومحيطه حتى يصير مثل المشكاة تضيء .

تقبل الله صومكم وزكاتكم وعمرتكم وصلاتكم وصدقتكم . وكل عام أنتم بخير وعافية .

فقه الصحة في رمضان[1]

جعل الله رمضان شهر رحمة ومغفرة وعتق من النار، وجعله أيضاً موسماً للعبادة في صلاة وصيام وتهجد وقراءة للقرآن. وفوق هذا وذاك يلتزم فيه المسلم بآداب نبوية في طعامه وشرابه، فلايصون بدنه فحسب، بل ينال في كل ركن من أركان هذا النظام الصحي النبوي الأجر والمثوبة من الله.

(١) عجِّل بالإفطار :

فقد أوصى رسول الله ﷺ بالتعجيل بالإفطار فقال : " لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر : متفق عليه.

ووراء ذلك فوائد طبية وآثار صحية ونفسية هامة للصائمين . فالصائم في أمسِّ الحاجة إلى مايذهب شعور الظمأ والجوع،

(١) مقال للدكتور حسان شمسي باشا .

والتأخير في الإفطار يزيد انخفاض سكر الدم ويؤدي إلى الشعور بالهبوط العام، وهو تعذيب نفسي تأباه الشريعة السمحاء.

(٢) أفطر على رطبات أو بضع تمرات وماء :

ورسول الله ﷺ يقول : "إذا أفطر أحدكم فليفطر على تمر، فإنه بركة، فإن لم يجد تمراً فالماء، فإنه طهور" رواه أبوداود والترمذي. وقد اختار رسول ﷺ هذه الأطعمة دون سواها لفوائدها الصحية الجمة، وليس فقط لتوفرها في بيئته الصحراوية، فالصائم يكون بحاجة إلى مصدر سكري سريع الهضم، يدفع عنه الجوع، مثلما يكون في حاجة إلى الماء. وأسرع المواد الغذائية امتصاصاً المواد التي تحتوي على سكريات أحادية أو ثنائية. ، ولن تجد أفضل مما جاءت به السنة المطهرة، حينما يفتتح الصائم إفطاره بالرطب والماء.

(٣) أفطر على مرحلتين :

فمن سنن الرسول ﷺ أنه كان يعجل فطره، ويعجل صلاة المغرب، حيث كان يقدمها على إكمال طعام فطره، وفي ذلك حكمة بالغة فدخول كمية بسيطة من الطعام للمعدة ثم تركها فترة دون إدخال طعام آخر عليها يعد منبهاً بسيطاً للمعدة والأمعاء. ويزيل في الوقت نفسه الشعور بالنهم والشراهة.

(٤) تجنب الإفراط في الطعام :

والرسول ﷺ يقول : " ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة فاعلاً، فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه " رواه الترمذي.

وتناول كميات كبيرة من الطعام يؤدي إلى انتفاخ المعدة، وحدوث تلبك معدي ومعوي، وعسر في الهضم، يتظاهر بحس الانتفاخ والألم تحت الضلوع، وغازات في البطن، وتراخ في الحركة. هذا إضافة إلى الشعور بالخمول والكسل والنعاس، حيث يتجه قسم كبير من الدم إلى الجهاز الهضمي لإتمام عملية الهضم، على حساب كمية الدم الواردة إلى أعضاء حيوية في الجسم وأهمها المخ.

(٥) تجنب النوم بعد الإفطار :

فالإفراط في الطعام كما ذكرنا يبعث على الكسل والخمول ويدفع الصائم إلى النوم بعد الإفطار، مما يحرم المريض من صلاة العشاء والتراويح.

(٦) لاتدخن في رمضان وفي غير رمضان :

فالتدخين مصيبة تصيب المدخنين، وقد أفتى كثير من

العلماء بتحريم التدخين، والرسول ﷺ يقول : " لا ضرر ولا ضرار " ، رواه أحمد.

في رمضان فرصة للتوقف عن التدخين والإقلاع عنه إلى غير رجعة.

(٧) تسحروا فإن في السحور بركة :

فقد أوصى رسول ﷺ بالسحور في حديثه المشهور : " تسحروا فإن في السحور بركة " . متفق عليه.

ولاشك أن وجبة السحور - وإن قلّت - مفيدة في منع حدوث الصداع أو الإعياء أثناء النهار، كما تمنع الشعور بالعطش الشديد، وحث رسول ﷺ على تأخير السحور " ماتزال أمتي بخير ما عجلوا الإفطار وأخروا السحور " رواه البخاري ومسلم، وينصح أن تحتوي وجبة السحور على أطعمة سهلة الهضم كاللبن الزبادي والخبز والعسل والفواكه وغيرها.

وفي الحديث الشريف : إن بلالاً يؤذن بليل فكلوا واشربوا حتى يؤذن ابن أم مكتوم : متفق عليه.

(٨) حافظ على السواك في رمضان :

فقد روى البخاري في صحيحه عن عامر بن ربيعة قال : "

رأيت النبي ﷺ يستاك وهو صائم ما لا أحصي ولا أعدّ".

وفي السواك فوائد عديدة لسلامة اللثة والأسنان، وقد أثبت العلم الحديث أن هناك ثمان مواد كيميائية في السواك، تعمل في تبييض الأسنان وتقوية اللثة ومحاربة الجراثيم والحفاظ على رائحة زكية في الفم.

(٩) الزم صلاة التراويح :

فمن فوائد الصلاة الصحية أنها مجهود بدني بسيط منتظم الإيقاع، وبخاصة حركات الركوع والسجود، فإن المصلي يضغط على المعدة والأمعاء، فيحدث تنشيط لحركاتهما، وتسريع لعملية الهضم، فينام المسلم بعدها بعيداً عن الإحساس بالتخمة وعسر الهضم، وفي وضوء المسلم وصلاته في جو رمضان شعور خاص براحة القلب، وسكينة النفس، والبعد عن القلق والتوتر العصبي، وفي ذلك شفاء للأمراض الباطنية الناجمة عن أسباب نفسية.

قال رسول ﷺ: "للصائم فرحتان : فرحة حين يفطر، وفرحة حين يلقى ربه" رواه الترمذي.

(١٠) انجز عملك بإتقان :

فالبعض يشعر بالكسل والتواني أثناء النهار بحجة

الصيام. والحقيقة أن الصائم يستطيع بقليل من الصبر إنجاز عمله في رمضان على أحسن وجه، ومما يروى في تراثنا الأدبي أن أحد الحدادين كان يعمل في ظهيرة يوم حار من أيام شهر رمضان، وكان جبينه يتصبب عرقاً فقيل له : كيف تتمكن من الصوم والحرّ شديد، والعمل مضني؟ فأجاب : من يدرك قَدْرَ من يسأله، يهون عليه مايبذله!

(١١) أسأل الله العافية :

فالصحة تاج على رؤوس الأصحاء لا يراه إلا المرضى. ومهما قاسى الصائم من الجوع والعطش أو الصداع، فإن أجر ذلك عند الله غير محدود، وتذكر يا أخي أن هناك مرضى يتحسرون على أيام رمضان تمر عليهم وهم لا يستطيعون صومها بسبب العجز أو المرض. . . وما أجمل الموقف الذي وقفه ذلك الأعرابي أمام الحجاج في تلك القصة الرائعة. فقد خرج الحجاج ذات يوم قائظ فأحضر له الغذاء فقال : أطلبوا من يتغذى معنا، فطلبوا فلم يجدوا إلا أعرابياً، فأتوا به فدار بين الحجاج والأعرابي هذا الحوار.

الحجاج : هلم أيها الأعرابي لتناول طعام الغذاء.

الأعرابي : قد دعاني من هو أكرم منك فأجبته.

الحجـــاج : من هو؟

الأعرابي : الله تبارك وتعالى دعاني إلى الصيام فأنا صائم.

الحجـاج : أصوْم في مثل هذا اليوم على حرِّه؟

الأعرابي : صمتُ ليوم أشد منه حرّاً.

الحجـاج : أفطر اليوم وصم غداً.

الأعرابي : أو يضمن الأمير أن أعيش إلى الغد؟

الحجـاج : ليس ذلك إليَّ، فعلمُ ذلك عند الله.

الأعرابي : فكيف تسألني عاجلا بآجل ليس إليه من سبيل؟

الحجـاج : إنه طعام طيب.

الأعرابي : والله ماطيبّه خبازك وطباخك ولكن طيَّبته العافية.

الحجـاج : بالله مـا رأيت مـثل هذا. جـزاك الله خـيـراً أيهـا الأعرابي.

المفطرات في مجال التداوي[1]

الفصل الأول : تعريف الصوم وتعريفات الجوف

تثور مشكلات جمة في مفطرات الصوم في مجال التداوي. ويقع العامة في حرج عندما تتضارب الفتاوى وتتناقض . . وقد أحسن مجمع الفقه الإسلامي صنعا بإدراج هذه القضية للبحث في دورته التاسعة (الموضوع الثامن) .

ويبدو والله أعلم أن سبب التباين في فتاوى العلماء الأجلاء هو اختلافهم في بعض التعريفات ومن أهمها تعريف الجوف، مع غموض بعض الإجراءات الطبية وعدم وضوحها في أذهان بعض العلماء الأجلاء، وعدم معرفة مدى تأثيرها في موضوع الصوم، لهذا كله لابد أولا من مناقشة هذه التعريفات قبل الخوض في مفردات هذه القضية .

---

(١) بحث قدمه الدكتور محمد علي البار إلى مجمع الفقه الإسلامي في دورته التاسعة (١٤١٥هـ).

تعريف الصوم :

الصوم لغة هو الإمساك والكف عن الشيء . يقال صام عن الكلام أي أمسك عنه ، قال تعالى إخبارا عن مريم (إني نذرت للرحمن صوما) أي صمتا وإمساكا عن الكلام . وتقول العرب : صام النهار إذا وقف سير الشمس وسط النهار عندالظهيرة . وقال الشاعر يصف الخيل :

خيل صيام وخيل غير صائمة تحت العجاج وأخرى تعلك اللجما

أي خيل ساكنة صامتة (خيل صيام) وأخرى تصهل وتتحرك وثالثة وكأنها من شدة حركة فمها تعلك اللجما .

والصوم شرعا هوالامتناع الفعلي عن المفطرات مثل شهوتي البطن والفرج من طلوع الفجر إلى غروب الشمس من أهله بنيّة . . (وأهله هو المسلم العاقل غير الحائض أو النفساء) . (والنية هي عزم القلب على إيجاد الفعل جزما دون تردد لتمييز العادة عن العبادة ، مع الشروع فيه ماعدا الصيام حيث ينبغي تبييت النيّة قبل مقارنة الفعل وذلك في صوم الفرض) .

قال تعالى (فالآن باشروهن وابتغوا ماكتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبيّن لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من

الفجر ثم أتموا الصيام إلى الليل) . البقرة ١٨٧ .

فهذه الأشياء (الأكل والشرب والجماع والاستمناء والاستقاءة) هي التي مُنع منها الصائم من الفجر إلى غروب الشمس . . ففي الحديث الصحيح : كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به ، يدع طعامه وشهوته من أجلي ، ويدع لذته من أجلي ويدع زوجته من أجلي " أخرجه ابن خزيمة في صحيحه عن أبي هريرة رضى الله عنه .

تعريف الجوف لغة :[1]

يطلق الجوف في اللغة على كل شيء مجّوف ، جوف الإنسان بطنه . والأجوفان : البطن والفرج . والجائفة الطعنة التي تبلغ الجوف ، وفي الحديث الشريف " في الجائفة ثلث الدية " ، أجافه الطعنة وبها : أصاب بها جوفه .

والجوف من كل شيء باطنه الذي يقبل الشغل والفراغ . والجمع أجواف ، وجوف الليل ثلثه الأخير وفي الحديث : "أي الليل أسمع؟ قال : جوف الليل الأخير" . وجوف الأرض : باطنها وما اتسع من الأرض وانخفض فصار كالجوف . وجوف

(١) القاموس المحيط للفيروزبادي ج٣/ ١٢٩ ، والصحاح للجوهري ج٤/ ١٣٣٩ ، والمصباح المنير للفيومي ، والقاموس الفقهي ، وكشاف اصطلاات الفنون للتهانوني ، والمعجم الوسيط (الطبعة الثانية)

الوادي بطنه، والجوف : المطمئن من الأرض، والجوف : اسم لناحية بعمان واليمن والسعودية. وفي القاموس المحيط : الجوف اسم ناحية بعمان وواد بأرض عاد (حضرموت) حماه رجل اسمه مراد، ومنطقة باليمامة (ماحول الرياض) وناحية بدار سعد، ودرب الجوف بالبصرة.

(والجَوَف) السعة. الأجوف : الأسد العظيم الجوف، والجوفاء من الدلاء: الواسعة، ومن القنا والشجر : الفارغة. وجوائف النفس ماتقعّر من الجوف في مقارّ الروح. ومَجوُف (كمخوف) العظيم الجوف، ومن الدواب الذي يصعد البلق (البياض) منه حتى يبلغ البطن، المجوف أيضاً من لا قلب له. والجوفي نوع من السمك. وتجّوف الشيء دخل جوفه. واستجاف المكان وجده أجوفا. واجتافه وتجوفه : دخل جوفه.

الجوف الخلاء، هو مصدر من باب تعب فهو أجوف، والاسم الجوف. هذا أصله ثم أستعمل فيما يقبل الشغل والفراغ فقيل جوف الدار لباطنها. وجوّفته تجويفا : جعلت له جوفا. وقيل للجراحة الجائفة إذا وصلت الجوف، فلو وصلت إلى جوف العظم لم تكن جائفة لأن العظم لا يعد مجوفا.

وجافَهُ الصيد : أي أدخل السهم في جوفه ولم يظهر من

الجانب الآخر. وجافَهُ الدواء أدخله جوفه. والجائفة : العيب العظيم، وهي أيضاً الطعنة التي تبلغ الجوف أو التي تخالط الجوف أو التي تنفذ .

وعند المالكية : الجائفة هي التي تصل إلى الجوف وتختص بالبطن والظهر، وهي ما أفضى إلى الجوف ولو بمغرز إبرة.

وعند الأحناف : هي التي بلغت الجوف أو نفذته . . وهي مابين اللبّة (أسفل العنق وأول الصدر) و العانة. ولا تكون الجائفة في العنق والحلق والفخذ والرجل. وهي تختص بـ رف البطن أو جوف الرأس.

وعند الشافعية : الجائفة جرح ينفذ لجوف باطن محيل للغذاء أو الدواء (أي الجهاز الهضمي) أو طريق للمحيل كبطن وصدر وثغر ونحر، وجنبين.

وعند الحنابلة والزيدية : الجائفة ما وصل إلى جوف العضو وظهر وصدر وورك وعنق وساق، وعضد مما له جوف.

ولايحدد الظاهرية والجعفرية والأباضيّة الجوف إلا بالبطن.

والجوف هو من ثغر النحر إلى المثانة . وفي الحديث الشريف " لاتنسوا الجوف وماوعى " أي ما يدخل إليه من لطعام والشراب ويجمع فيه . (انتهى من القاموس الفقهي باختصار وتصرف).

وجاء في كشاف اصطلاحات الفنون للتهاوني:

الجوف لغة التقعير . ويطلق في الطب (في زمنه آنذاك) على شيئين : أحدهما وهو الجوف الأعلى، ويحتوى على الآت التنفس وهوالصدر . والثاني : الجوف الأسفل وهو الحاوي لالآت الغذاء . وقد فُصل بينهما بالحجاب الموارب (يسمى الآن الحجاب الحاجز) صيانة لأعضاء التنفس خصوصاً القلب (القلب ليس من أعضاء التنفس) عن مضارّات الأبخرة والأدخنة التي لا يخلو عنها طبخ الغذاء . كذا في "بحر الجواهر" [أي كتاب " بحر الجواهر" . . وهو كلام غير صحيح وغير مقبول في الطب الحديث].

والأجوف عند الصرفيين : لفظ عينه حرف علة ويسمى معتل العين، كقول وبيع، وباع .

وعند الأطباء : هو اسم عرق نبت من محدب الكبد لجذب الغذاء منه إلى الأعضاء، وإنما سمي به لأن تجويفه أعظم

من باقي العرق. وهما أجوفان : الأجوف الصاعد والأجوف النازل، وكل منهما متشعب بشعب مختلفة.

قلت : هذا الكلام غير دقيق، فهناك وريدان : أحدهما يعرف باسم الوريد الأجوف السفلي ويأتي الدم من البطن بما فيها الكبد، ومن الطرفين السفليين، ويدخل إلى القلب بعد أن يخترق الحجاب الحاجز ويصل مباشرة إلى الأذين الأيمن ويصب فيه. والثاني هو الوريد الأجوف العلوي وهو يجمع الدم من الرأس والدماغ والطرفيين العلويين والصدر ويصب كذلك في الأذين الأيمن من القلب.

ثم قال التهانوني : " والأجوفان : البطن والفرج، والعصبان المجوفان الكائنان في العينين، وليس في البدن غيرهما عصب مجّوف نابت من الدماغ " .

قلت : وهذا أيضاً كلام خطأ إذ أن عصب الإبصار غير مجّوف. وإن كان يشبه القمع في أثناء خروجه من العين .

ويستمر التهانوني في تعريفاته فيقول : " وقد يطلق الأجوف على معاء مخصوص كما قرر في علم التشريح " . وهو كلام غير دقيق. فكل الأمعاء مجوفة، ولعله يقصد المعي لصائم لأنه خال من الطعام معظم الوقت، ولذا قيل له " الصائم " .

الجوف في جسم الانسان (في الطب الحديث) :

في جسم الإنسان تجاويف عدة فهي لاتقتصر على التجويف البطني الذي يطلق عليه في العادة لفظ الجوف، فهناك التجويف الصدري، وهو مغطى بالغشاء البلوري، ويحوي الرئتين ولكل رئة غشاء بلوري. وهو غشاء مصلي رقيق محيط بالرئة وآخر متصل بالقفص الصدري. . كما أن في التجويف الصدري القلب ويقع في وسط التجويف مائلاً قليلاً إلى جهة اليسار. والقلب مغطى بغشاء يسمى التامور والغشاء الخارجي منه غليظ سميك أما الداخلي المحيط بعضلة القلب فهو رقيق.

وفي القلب ذاته أربعة تجاويف فهناك الأذينان (الأيمن والأيسر) في أعلى القلب وفي كل واحد منهما يتجمع الدم، كما أن البطينان (الأيمن والأيسر)، وهما أكبر وأغلظ من الأذينان، ومن الأيمن يضخ الدم إلى الرئة، ومن الأيسر يضخ الدم إلى كافة أجزاء الجسم. وقد كان القدماء يعتقدون أن الروح (الحيواني) تتولد في البطن اليسر من القلب إلى أن جاء ابن النفيس القرشي وشّرح الحيوان والإنسان وقال أن الدم يذهب من البطن الأيمن إلى الرئتين ثم يعود منها بعد أن يخالطه الروح (الهواء) ويتصفى فيعود إلى البطن الأيسر الذي يضخ الدم إلى كافة أجزاء الجسم

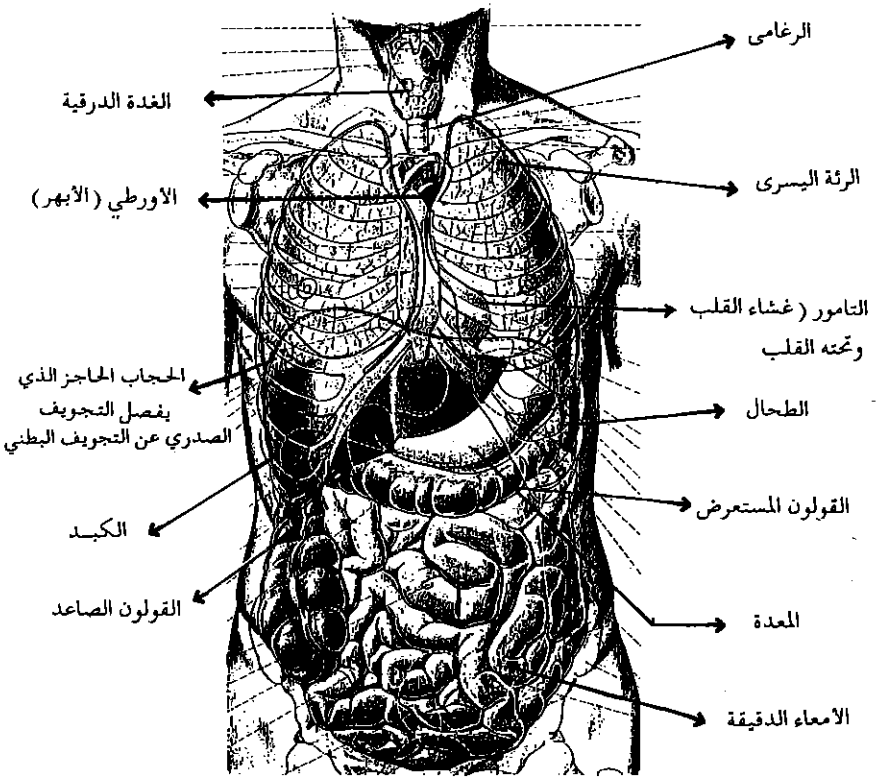

رسم يوضح التجويف الصدري ويحتوي على الرئتين والقلب والأوعية الدموية والأعصاب والغدد والأوعية اللمفاوية، والتجويف البطني الذي يضم الجهاز الهضمي باكمله بملحقاته : الكبد والبنكرياس والمرارة، والجهاز البولي باكمله (ماعدا قناة مجرى البول وهي الاحليل)، والجهاز التناسلي الداخلي في المرأة (ويشمل الرحم والمبايض وقناتي الرحم)، والأوعية الدموية واللمفاوية والغدد اللمفاوية والأعصاب .. الخ ويفصل بين التجويفين الحجاب الحاجز.

عبر الشريان الأورطي (الأبهر) وقد سبق بذلك وليام هارفي بأربعة قرون في وصف الدورة الدموية.[1]

وللأسف فإن الغرب يرجع الفضل في هذا إلى وليام هارفي ويتناسي ابن النفيس.

---

(١) يقول ابن النفيس في "شرح تشريح القانون" تحقيق د. سليمان قطايه واصدار الهيئة المصرية العامة للكتاب (١٩٨٨) ص ٢٩٣ " ولابد في قلب الانسان ونحوه مما له رئة من تجويف آخر يتلطف فيه الدم ليصلح لمخالطة الهواء فإن الهواء لو خلط بالدم وهو على غلظه لم يكن من جملتها جسم متشابه الأجزاء، وهذا التجويف هو التجويف الأيمن من تجويفي القلب، وإذا لطف الدم في هذا التجويف فلابد من نفوذه الى التجويف الأيسر حيث يتولدالروح. ولكن ليس بينهما منفذ، فإن جرم القلب هناك مصمت ليس فيه منفذ ظاهر كما ظنّه جماعة، ولامنفذ غير ظاهر يصلح لنفوذ الدم، كما ظنه جالينوس، فإن مسامّ القلب هناك مستحصفه وجرمه غليظ، فلابد وأن يكون هذا الدم إذا لَطُفَ نفذ في الوريد الشرياني (نسميه الآن الشريان الرئوي) الى الرئة لينبتَّ في جرمها ويخالط الهواء ويتصفى (١) يقول ابن النفيس في "شرح تشريح القانون" تحقيق د. سليمان قطايه واصدار الهيئة المصرية العامة للكتاب (١٩٨٨) ص ٢٩٣ " ولابد في قلب الانسان ونحوه مما له رئة من تجويف آخر يتلطف فيه الدم ليصلح لمخالطة الهواء فإن الهواء لو خلط بالدم وهو على غلظه لم يكن من جملتها جسم متشابه الأجزاء، وهذا التجويف هو التجويف الأيمن من تجويفي القلب، وإذا لطف الدم في هذا التجويف فلابد من نفوذه الى التجويف الأيسر حيث يتولدالروح. ولكن ليس بينهما منفذ، فإن جرم القلب هناك مصمت ليس فيه منفذ ظاهر كما ظنّه جماعة، ولامنفذ غير ظاهر يصلح لنفوذ الدم، كما ظنه جالينوس، فإن مسامّ القلب هناك مستحصفه وجرمه غليظ، فلابد وأن يكون هذا الدم إذا لَطُفَ نفذ في الوريد الشرياني (نسميه الآن الشريان الرئوي) الى الرئة لينبتَّ في جرمها ويخالط الهواء ويتصفى ألطف ما فيه (وهو قد سبق بذلك وليم هارفي وأوربا بأربعة قرون على الأقل). وينفذ الى الشريان الوريدي (نسميه الآن الوريد الرئوي وهما في الواقع أربعة) ليوصله إلى التجويف الأيسر من تجويفي القلب (وهو كلام في منتهى الدقة وسبق بذلك عصره بعدة قرون)، وقد خالط الهواء وصَلُحَ لأن تتولد منه الروح. ومايبقى منه الروح أقل لطافة تستعمله الرئة في غذائها (المقصود بالروح عنده هو الروح الحيواني وهو يتحدث هاهنا عن الأوكسجين ويشير إليه إشارات متعددة، وبما أن الأوكسجين لم يعرف إلا في فترة متأخرة جداً من زمن ابن النفيس فإن ذلك يعتبر سبقاً آخر لإبن النفيس).

وفي عظام الوجه تجاويف عدة تعرف بالجيوب الأنفية وهي ترخّم الصوت وتخفّف من وزن الرأس ولها افرازات هي التي تصل إلى البلعوم الأنفي Nasopharynx ومنه إلى البلعوم الفموي Oropharynx المعروف بالحلق. وهذه الافرازات هي التي كان القدماء يظنونها تأتي من الدماغ ويقولون أن البلغم (أي أن هذه الافرازات) مادة باردة تنزل من الدماغ. وهناك نوع آخر من البلغم يصعد من الشعيبات (القصبات) الرئوية ويصل إلى الحلق. وهي افرازات مخاطية تدفعها شعيرات دقيقة في القصبات الرئوية إلى أعلى لكي تطرد المواد الغريبة مثل ذرات الغبار والدخان والميكروبات حتى لاتصل إلى الحويصلات الهوائية Alveoli والتي يطلق عليها أيضاً الأسناخ الرئوية.

وقد تحدث الفقهاء عن هذا البلغم الذي قد يكون ثخينا فيسمى النخامة، وسواء كان هذا البلغم نازلا من الجيوب الأنفية (كان القدماء يعتقدون أنه من الدماغ) أو صاعداً من القصيبات الرئوية فإن بصقه لا يؤثر على الصيام . . واختلف الفقهاء في بلعه بعد وصوله إلى الحلق فمنهم من قال بأن ذلك يسبب الإفطار ويفسد الصيام ويوجب القضاء، ومنهم من نفى ذلك ومنهم من فصّل فإن كان لبلغم قد وصل إلى الفم وبلعه متعمداً فيفطر وإلا

فهو معذور.

والريق وهو افرازات الغدد اللعابية الموجودة على (الفكين الأعلى والأسفل) لايسبب بلعه الإفطار إلا إذا تجمع في الفم وأمكن الإنسان بصقه وتعمد بلعه، وهو أيضاً محل خلاف بين الفقهاء.

وفي الجمجمة تجويف يشغله الدماغ وأغشية الدماغ (السحايا) والسائل المخ شوكي Cereboro spinal fluid ويتولد هذا السائل في البطينين الجانبيين (الوحشيين) من الدماغ ثم يسيل هذا السائل إلى البطن الثالث من الدماغ ومنه إلى البطن الرابع ثم يخرج عبر فتحة بعد البطن الرابع من الدماغ ليصل إلى أغشية الدماغ الخارجية فيسير بين الأم الجافة Dura mater، وهي الغشاء الغليظ الخارجي للدماغ والأم الحنون Pia mater، وهي الغشاء الرقيق الملتصق بالدماغ، وتبدأ من هناك عملية امتصاصه ليذهب إلى الأوردة والجيوب الوريدية الموجودة في القحفة والجمجمة كما يسير هذا السائل في الغشاء المحيط بالنخاع الشوكي (الحبل الشوكي) Spinal cord ووظيفته حماية الدماغ والنخاع الشوكي من الهزات والارتطامات والصدمات.

ويفرز الدماغ ٥٠٠ مليلتر (نصف لتر) يومياً من هذا السائل

ويتم امتصاصه كذلك يومياً، وفي أي لحظة من اللحظات يوجد ١٥٠ مليلتر من هذا السائل الهام جداً في الحفاظ على سلامة الدماغ والنخاع الشوكي، وهو كما أسلفنا محيط بالدماغ حتى أن الدماغ ليطفو فيه.

ولا يصل شيء من هذا السائل إلى الأنف إلا في حالة كسر في قاع الجمجمة وهي حالة خطيرة قد تستدعى تدخلا جراحياً . . وليس البلغم الموجود في الأنف أو البلعوم الأنفي من الدماغ كما كان يعتقده القدماء.

ولكن هل إذا حدث كسر في قاع الجمجمة ووصل هذا السائل إلى الأنف ومنه إلى البلعوم الأنفي والحلق يفطر الزنسان إذا كان صائماً؟ قضية تحتاج إلى بحث وإلى إعادة السؤال عما هو المقصود بالجوف وما هو المقصود بالصيام. وستأتي مناقشة ذلك فيما بعد.

وليس لبطون الدماغ ولا للسائل المخ شوكي أي علاقة بالجهاز الهضمي وبالتالي فإن كل ما ذكره الفقهاء من أن ذلك سبب للإفطار لا أساس له من الصحة فالمأمومة ومداواتها وبطون الدماغ كلها بعيدة كل البعد عن الجوف المقصود في الصيام.

وهناك تجاويف كثيرة في الإنسان ومنها تجويف الفرج

(القبل) المعروف طبياً باسم المهبل Vagina، وهو في الواقع ليس تجويفا لأن الجدارين (الأمامي والخلفي) ينطبقان على بعضهما ولايوجد فراغ ولا تجويف ولكن هذين الجدارين مرنان جداً فيتسعان عند الجماع والايلاج بحيث يتقبل إدخال الذكر، كما أنه يتسع لخروج الجنين عند الولادة ونزول الدم عند الحيض أو النفاس.

وفي الرحم تجويف صغير جداً لا يتسع في المرأة الخروص التي لم تحمل وتلد إلا لمليلترين فقط ولكنه يزيد زيادة مهولة في أثناء الحمل ليحمل الجنين والأغشية المخاطية المحيطة به والسائل الأمنيوسي (الرهل) الذي يصل إلى ألف مليلتر، كما أن وزن الجنين قبيل الولادة يصل إلى ثلاثة كيلوجرامات أو أكثر وبالتالي فإن سعة الرحم بما يحمله من جنين وأغشية وسائل الرهل تصل إلى قرابة خمسة آلاف مليلتر (خمسة لترات).

والبطن كلها تعتبر جوفا في اللغة العربية كما أسلفنا في التعريف اللغوي وهي مغطاة من الداخل بالغشاء البيريتوني وهو غشاء مصلى رقيق له جدار ثخين نسبياً متصل بجدار البطن وآخر رقيق يحيط بأحشاء (المعدة والأمعاء والكبد والطحال ويغطّي السطح الخارجي للبنكرياس وتقع الكُلى خلفه). وهو

تجويف البطن العلوي

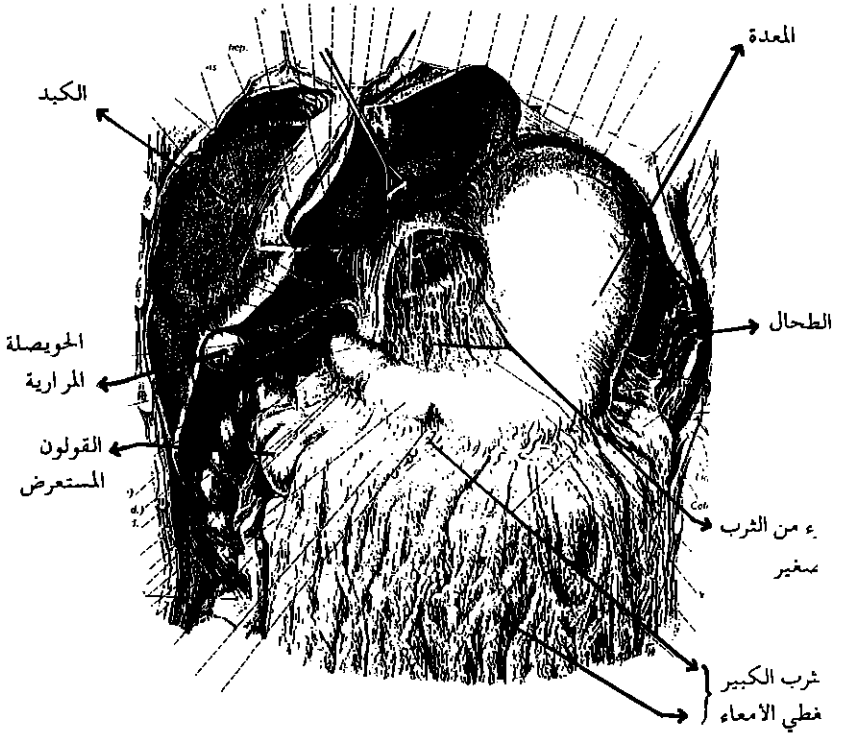

رسم يوضح تجويف البطن العلوي وتظهر في الرسم الأعضاء التالية : الكبد والمرارة، المعدة والأثنى عشر والطحال والثرب الكبير Greater omentum والثرب الصغير كما يبدو في الجانب الأيمن جزء من القولون الصاعد والقولون المستعرض .. وقد تمت إزالة جدار البطن بأكمله وجزء من الغشاء البريتوني حتى تبدو هذه الأعضاء.

غشاء معقد التركيب وله ثرب كبير Greater Omentum وثرب صغير lesser omentum . ويقع الكبير على المعدة من الأمام ومن أسفل بينما يقع الصغير خلفها .

وتجويف البطن [1] : هو الجزء الذي ينحصر بين عضلة الحجاب الحاجز من أعلى ، وبين الحاجب الحوضي من أسفل . ويحدّه من الخلف العمود الفقري والعضلات المحيطة به ومايسمى بجدار البطن الأمامية . والشراشيف وهي نهايات الأضلاع وغضاريفها .

وينقسم تجويف البطن إلى جزئين رئيسيين هما : تجويف البطن الحقيقي وهو الجزء الأكبر ويقع أعلى الجزء السفلي المعروف بتجويف الحوض . والثاني هو تجويف الحوض .

ويحتوي تجويف البطن على أعضاء مختلفة من الجهاز الهضمي والجهاز البولي وأوعية دموية وغدد صماء وغير صماء وأعصاب وغدد لمفاوية وطحال . وتعتبر الكبد البنكرياس من امتدادات الجهاز الهضمي حيث تنمو من الأنبوب (القناة) الهضمي في الجنين .

ويحتوي تجويف الحوض على أجزاء من الجهاز البولي

(١) د . شفيق عبدالملك : مبادىء علم التشريح ووظائف الأعضاء ، ص ٢٢٧ ومابعدها .

(المثانة، نهاية الحالبين، الاحليل) والبروستاتة (الموثه) بالنسبة للرجل والجهاز التناسلي بكامله للمرأة (تقع الخصيتين خارج البدن في كيس الصفن لعدم تحملها حرارة الجسم وتهاجر من البطن في الجنين وتخرج عبر قناة خاصة في الشهر السابع من الحمل)، بالاضافة إلى المستقيم والقولون السيني والغدد اللمفاوية وأوعيتها، الأوعية الدموية والأعصاب، ويغطي معظم التجويف البطني غشاء مصلي يعرف باسم البريتون Pertonium وهو عبارة عن كيس مصلي مقفل من كل نواحيه ويتوسط بين جدار البطن الأمامية وأحشاء تجويف البطن. ويتكون البريتون من طبقتين (إحداهما) خارجية تبطن جدار البطن الأمامي (والثانية) داخلية غائرة تلتصق بمختلف الأحشاء viscera ولذا فهي تعرف بالطبقة الحشوية Visceral Layer وهي تحيط بالأحشاء إما إحاطة تامة مع مساريقا mesentry أو جزئية حسب مقتضيات الحال لكل عضو.

ويعتبر كثير من الفقهاء الجائفة وهي الطعنة التي تصل إلى الجوف (التجويف البريتوني) مسببة للإفطار ومفسدة للصيام.

****

فتحة في الجمجمة في العظم الصدغي والجداري توضح الأم الجافة وعليها تجرى فروع الأوعية الدموية (الشريان والوريد السحائي الأوسط)
Middle Meningeal arttery and Vein

عظم الجمجمة الصدغي والجداري بعد إزالتهما

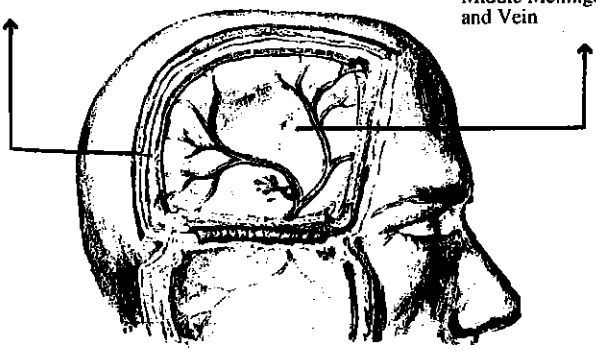

رسم يوضح المأمومة أو الآمة وهي الجرح الذي وصل إلى خريطة الدماغ وهي الأم الجافة Dura mater ومن المعلوم أن السائل المخ الشوكي يجري ما بين الأم الجافة والأم الحنون فيما يعرف باسم الأم العنكبوتية Choroid Plexus ومنها يذهب إلى الجيوب الدموية ومنها إلى الأوردة القحفية والوريد الودجي الداخلي (Int. Jugular vein)

الجهـــاز الهضمـــي

والجهاز الهضمي من أوله إلى آخره أنبوب مجوف إلا أنه يضيق في مواضع مثل المريء ويتسع في مواضع مثل المعدة . . وهو على الحقيقة الجوف المقصود في الصيام إذ هو موضع الطعام والشراب وكل ما يدخل إلي الجهاز الهضمي متجاوزاً للفم والبلعوم يكون سبباً للإفطار ومفسداً للصيام وذلك في نهار رمضان (أونهار الصيام إذا كان من غير رمضان) ولابد أن يكون الشخص عامداً فالناسي ليس مفطراً وإنما أطعمه الله وسقاه كما جاء في الحديث الشريف [1] . ولا يشترط أن يكون ما دخل الجوف (المقصود الجهاز الهضمي) طعاماً أو شراباً فقط وإنما يدخل في ذلك الدواء بل والدخان . وهناك خلاف بين الفقهاء

(١) عن أبي هريرة برفعه : "من أكل أو شرب ناسيا فليتم صومه فإنما أطعمه الله وسقاه" : رواه الجماعة وفي رواية الدارقطني : "إذا أكل الصائم ناسياً أو شرب ناسياً فإنما هو رزق ساقه الله إليه ولا قضاء عليه" .

حول الدخان (المقصود أي دخان) ولابد من إدخاله عمداً وتجاوزه الفم إلى البلعوم (الحلق) وقد يصل إلى الحلق (المقصود لبلعوم) عن طريق الأنف بواسطة صلة البلعوم الأنفي بالبلعوم . . فكل مادخل إلى الأنف من السوائل وغيرها ووصل إلى الحلق (البلعوم) وابتلعه الإنسان يعتبر مفسداً للصيام عند جمهور الفقهاء. ومن المعلوم أن هناك قناة مابين العين والأنف فإذا وضع الإنسان قطرة في عينيه فإنها تصل إلى الأنف ومن الأنف قد تصل إلى البلعوم ولذا اعتبرها بعض الفقهاء مسببة للإفطار ومفسدة للصيام رغم أن مايصل إلى البلعوم أقل من قطرة من الماء وهي كمية أقل بكثير مما يصل أثناء المضمضة (بدون مبالغة) أو أثناء الاستنشاق وكلاهما مسنون أثناء الوضوء.

وهناك فتحة في الأذن الوسطى وتتصل بقناة استاكيوس التي تصل إلى البلعوم وتعرف بالقناة البلعومية السمعية، ولكن الأذن الخارجية (وتشمل الصيوان وقناة السمع الخارجية) تفصلها عن الأذن الوسطى الطبلة وهي غشاء جلدي. ولهذا فإن افرازات الأذن الخارجية أو وضع قطرات من الدواء أو الماء أو أي سائل في الأذن الخارجية لا تصل إلى الأذن الوسطى وبالتالي لاتصل إلى القناة السمعية البلعومية (قناة استاكيوس) إلا إذا كانت طبلة

الأذن مخروقة . . وفي الحالات العادية فإن وضع عود في الأذن أو وضع قطرة دواء في الأذن أو نقطة من ماء فإنها لاتصل إلى الأذن الوسطى وبالتالي لا تصل إلى البلعوم إلا عن طريق المسام الموجودة في الطبلة وبما أن الطبلة تشبه الجلد فتأخذ حكمه . . لا يوجد من يقول أن وضع الماء على الجلد يسبب الإفطار . . ولهذا من يقول من الفقهاء بأن إدخال عود أو وضع قطره من الدواء في الأذن (والطبلة غير مخروقة) مفسد للصيام لاحجة له في ذلك . أما إذا كانت الطبلة مخرومة وبالتالي يمكن وصول قطرات إلى البلعوم فإن هناك وجه لهذا القول وإن كان ما يصل إلى البلعوم منها ضئيل جداً، وربما كان أقل مما يصل إلى البلعوم بعد المضمضة بغير مبالغة .

****

صورة توضيحية للاذن بأجزائها الثلاثة

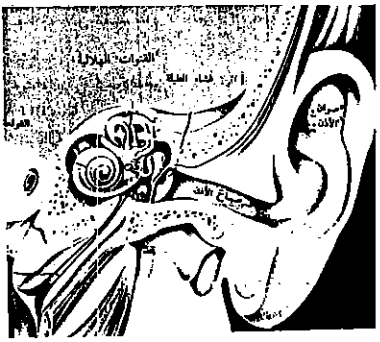

القناة البلعومية السمعية أو قناة استاكيوس Canal Eustachian

الأذن الخارجية وتشمل	الأذن الوسطى وتشمل	الأذن الداخلية وتشمل جهاز
صوان الأذن وقناة السمع	عظيمات الأذن وهي	السمع المكون من القوقعة
الخارجية (صماخ الأذن)	المطرقة والسندان الركاب	Cochlea وجهاز التوازن المكون
		من القنوات الهلالية Semi
		Circular Canals والكيسين
		Utricle وشكوة الأذن Saccule

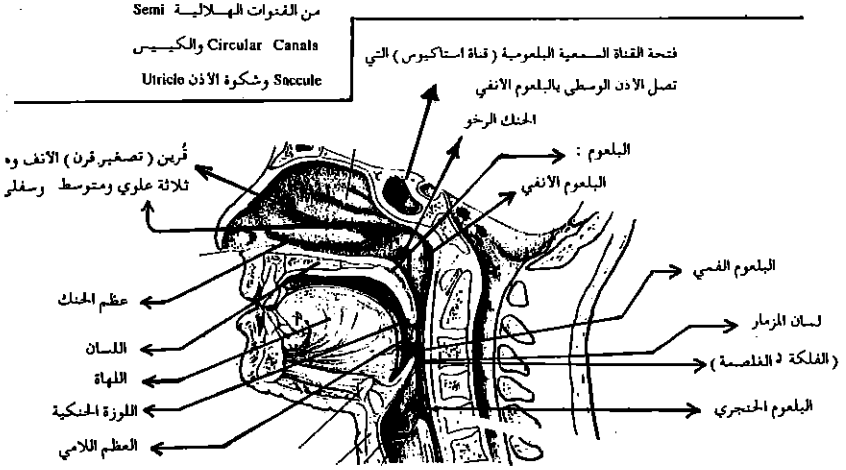

رسم يوضح البلعوم والأنف والفم ومن الخلف العمودي الفقري العنقي والنخاع الشوكي وفيه يجري السائل المخ – شوكي من الدماغ

البلعـــوم [1]:

هو جزء القناة الهضمية الذي يلي تجويف الفم وهو عبارة عن قناة عضلية (تجويف) غشائية مخاطية، يبلغ طولها ١٤ سنتمتراً، تمتد أمام الفقرات العنقية الست العليا وتنشأ أكثر عضلاتها من قاعدة الجمجمة.

وينقسم تجويف البلعوم إلى ثلاثة أجزاء :

الأول : الجزء العلوي خلف تجويف الأنف ويعرف بالبلعوم الأنفي Nasopharynx وهو الذي تصل إليه افرازات الأنف والجيوب الأنفية، ومايوضع في الأنف من دواء أو بخاخ أو دخان، كما يصل إليه عن طريق الأنف افرازات الدموع من العين والأدوية التي توضع في العين. وتقع فيه فتحتا الأنف الخلفيتين وفتحتا القناة البلعومية.

الثاني : الجزء المتوسط وهو خلف الفم مباشرة ويعرف بالبلعوم الفمي Oropharynx وعن طريقه يتم ازدراد الغذاء والشراب والدواء وكل ما يدخل الفم ويتم بلعه. وفي هذا الجزء تقع اللهاة واللوزتان الحنكيتان، وتتوسط اللهاة بين والبلعوم الأنفي البلعوم الفمي.

(١) د. شفيق عبدالملك : مبادىء علم التشريح ووظائف الأعضاء. الطبعة السابعة ١٩٧٢ (الناشر المؤلف) القاهرة ص٢٢٥-٢٢٦-٢٧١ باختصار وتصرف.

الثالث: الجزء السفلي ويعرف باسم البلعوم الحنجري ويقع خلف الحنجرة وفيه تقع فتحتها، والحبال الصوتية الحقيقية والكاذبة، ويغطيّه لسان المزمار عند البلع حتى لا ينساب الطعام والشراب إلى الحنجرة فيحدث الشَرْقَ والغُصَّة.

البلع (الازدراد) [1] :

البلع هو عبارة عن مرور الطعام الممضوغ (أو الشراب) من الفم إلى البلعوم ثم إلى المريء. وتقسم هذه العملية إلى ثلاثة أدوار :

الأول : وهو مرحلة إرادية وفيها يتم مرور البلعة من برزخ الحلق بواسطة انقباض عضلات الشفتين وعضلات الوجنتين خصوصاً العضلة البوقية، وانقباض عضلات اللسان في جزئها الأمامي مقابل سقف الحنك، وكذلك انقباض عضلات المضغ التي تعمل على ضم الفكين العلوي والسفلي.

الثاني : وهو مرحلة غير إرادية وتشمل مرور البلعة في البلعوم إلى المريء. وهو دور سريع جداً وفي أثناءه ترفع اللهاة لتكون بمثابة حاجز بين البلعوم الفمي والبلعوم الأنفي وتنقبض

(١) د. شفيق عبدالملك : مبادىء علم التشريح ووظائف الأعضاء، ص ٢٧١، بتصرف.

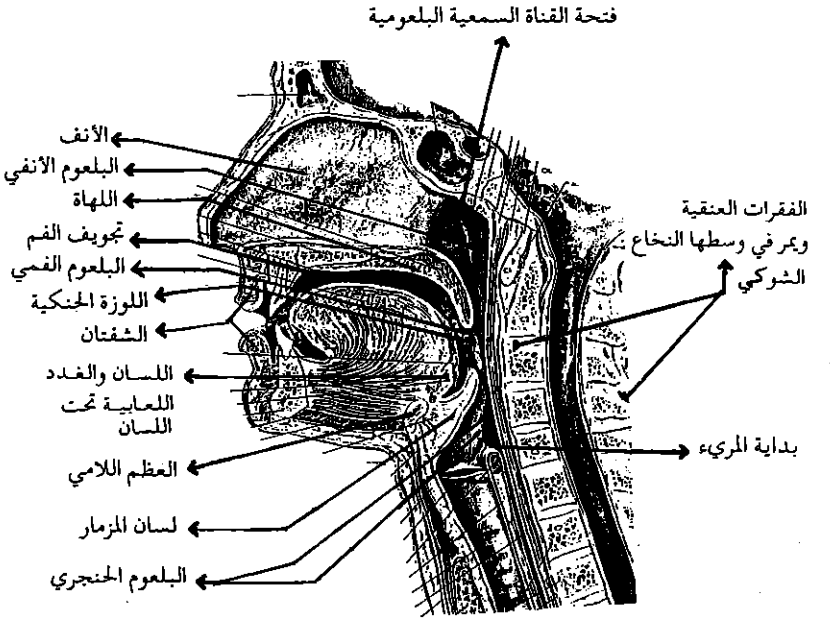

رسم آخر يوضح البلعوم وأقسامه الثلاثة (١) البلعوم الأنفي وهو الجزء الأعلى من البلعوم ويتصل بالأنف حيث تقع فيه فتحتا الأنف الخلفيتين كما تقع فيه فتحتا القناة البلعومية (قناة استاكيوس) وهي قناة من كل جانب وتصل مابين الأذن الوسطى والبلعوم .. وعن طريق البلعوم الأنفي تصل افرازات الأنف والجيوب الأنفية وما يوضع في الأنف من دواء أو بخاخ أو دخان، كما تصل الدموع وافرازات الدموع من العين بواسطة القناة الدمعية التي تصب في الأنف. (٢) البلعوم الفمي وهو المعروف باسم الحلْق وهو نهاية الفم وتقع فيه اللهاة واللوزتان الحنكيتان. وعن طريقه يتم ازدراد الطعام والشراب والدواء وكل مايتم إدخاله بواسطة الفم من أجل بلعه .. ويتصل البلعوم الفمي بالبلعوم الأنفي والحنجري. وعند البلع يتم قفل الحنجرة بواسطة لسان المزمار (الغلصمة) كما سيأتي.

البلعة وقد وصلت إلى البلعوم الحنجري ينزل لسان المزمار ليغطي الحنجرة وبدأت البلعة تنساب إلى المريء.

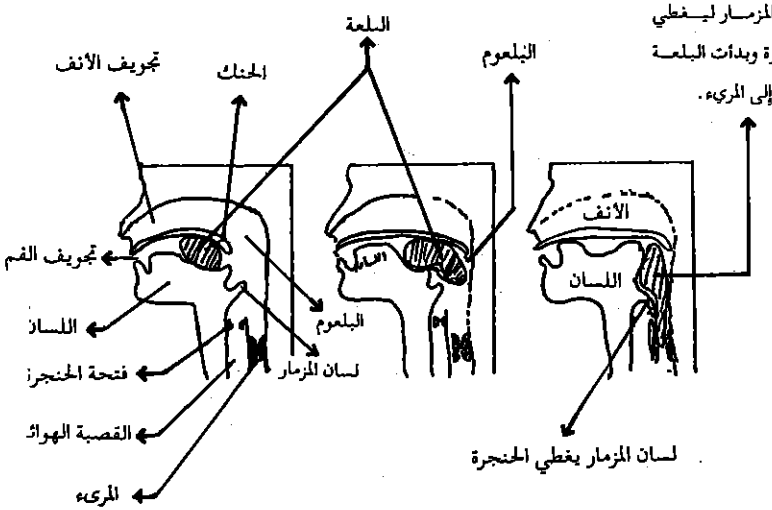

رسم يوضح عملية البلع الفسيولوجية في مراحلها الثلاث :
رقم (١) البلعة (حمراء) وهي في تجويف الفم وتنقبض عضلات اللسان مقابل سقف الحنك (اللون الأزرق) بالاضافة إلى عضلات المضغ والوجنتين والفكين وكلها تدفع البلعة إلى الخلف حتى تصل إلى (رقم٢) البلعوم الفمي وتفصل اللهاة وسقف الحنك الرخو البلعوم الفمي عن البلعوم الأنفي وتمر البلعة في خلال ١٠ ثوان فقط إلى المريء (رقم٣) حيث تنقبض عضلات الحنجرة وترتفع لتتصل بلسان المزمار فتقفل الحنجرة فلا ينساب شيء من الطعام أو الشراب إلى الحنجرة والا حدثت الغصّة (أو الشرق) .. وتنزلق البلعة بسرعة إلى أعلى المريء .. ومن هناك تنزل بواسطة الحركة الدودية إلى أسفل المريء ومنه إلى المعدة عبر الفتحة الفؤادية.

عضلات مدخل الحنجرة حتى لا يدخل شيء من الطعام أو الشراب إلى الحنجرة. وإذا حدث ذلك فهو الغُصَّة أو الشَرْقَة. وإذا كانت البلعة كبيرة وحدث خلل في عملية البلع لأي سبب فإن هذه البلعة قدتسد منجرى الهواء في الحنجرة وإذا لم يتم خراجها بسرعة، وذلك بالضغط على البطن بقوة وعادة ما يأتي المسعف من الخلف ويضع يده حول البطن ويضغط بسرعة وبقوة، حتى يرتفع الحجاب الحاجز ويزداد الضغط حتى يتم اخراج البلعة (قد تكون قطعة معدنية أو غيرها)، فإذا تعذر ذلك توجب إيجاد فتحة في القصبة الهوائية trachea حتى يتم التنفس عبرها وفي تلك الأثناء، أو بعد إيجاد الفتحة في القصبة الهوائية يتم إخراج البلعة التي سدّت الحنجرة. وقد تحدث وفيات بسبب خطأ في عملية البلع في هذه المرحلة عند عدم وجود مسعفين وأطباء.

الثالث : وهو دور غير إرادي أيضاً تنزح فيه البلعة من البلعوم إلى المريء، ومن المريء إلى المعدة بواسطة حركات المريء الدودية. وتمرالبلعة من المريء إلى المعدة عبر الفتحة الفؤادية والتي تتحكم فيها لا إرادياً العضلة العاصرة الفؤادية.

ويتفق جمهور الفقهاء، على أن وصول الطعام أو الشراب

أو الدواء أو الدخان أو غيرها إلى البلعوم ومنه إلى المريء مفسد للصيام إذا كان الفعل لذلك متعمداً.

بل إذا تجمع الريق Saliva في الفم وبلعه الإنسان متعمداً يعتبر قد أفسد صومه(وهو رأي كثير من الفقهاء). كذلك إذا صعد من المريء سائل (أو من المعدة) وهو القيء، فإذا كانت عملية القيء متعمدة فقد أفطر من استقاء، وأما من ذرعه القيء فليتم صومه للحديث الشريف الذي رواه أبو هريرة: "من ذرعه القيء وهو صائم فلا قضاء عليه ومن استقاء فليقضي[٧]". وحديث أبي الدرداء أن النبي صلى الله عليه وسلم قاء فأفطر[٨]".

ومن ذرعه القيء أو تجمع في فمه إفرازات صاعدة من المعدة أو المريء Water brash (القلس) أو من الجهاز التنفسي (من القصبات الهوائية أو من الأنف) ثم بلعها متعمداً فقد أفطر وفسد صومه.

وقد اتفقت المذاهب الأربعة أن من غلبه القيء ولم يرجع

(٧) رواه الدارمي وأصحاب السنن وابن حبان والحاكم الدارقطني. واختلف فيه أهل الحديث وضعفه أكثرهم انظر كتاب فقه الصيام للدكتور الشيخ يوسف القرضاوي، ص ٧٦ - ٧٧.

(٨) رواه أحمد أصحاب السنن وابن حبان والدارقطني والحاكم والبيهقي والطبراني، وقد اختلف في اسناده أيضاً. ولايدل على أن القيء مفطر بذاته (أنظر كتاب فقه الصيام للقرضاوي).

منه شيء لحلقه وبالتالي لم يبتلعه مرة أخرى لاشيء عليه وصيامه صحيح . . أما من تعمد القيء (أي استقاء) فإنه يفطر ويفسد صومه وعليه القضاء . وكذلك من ذرعه القيء ولكنه ابتلع شيئاً من المادة التي وصلت إلى فمه فإنه بذلك يفسد صومه وعليه القضاء . وفي هذه النقطة الأخيرة خلاف بين الفقهاء ليس هاهنا محل تفصيله .

المثانـــة :

عبارة عن عضو عضلي أجوف وهي كيس لخزن البول الذي تفرزه الكليتان وينزل منهما عبر الحالبين وتقع المثانة في الحوض الحقيقي خلف الارتفاق العاني بحيث تكون قمتها إلى أعلى وأمام بينما تكون قاعدتها من الخلف وعنق المثانة أسفلها وتتصل بالقناة البولية .

إذا أمتلأت المثانة أخذت شكلا كرويا وقد ترتفع من الحوض حتى تصل إلى تجويف البطن فيمكن آنذاك فحصها من البطن واستخراج البول منها مباشرة عن طريق إبرة أو قسطرة عبر جدار البطن .

وتتصل المثانة من أسفل بقناة مجرى البول التي تعرف

بالاحليل Urethera وهي تتحكم في التبول بواسطة عضلات عاصرة. والعضلة العاصرة المثانية غير إرادية ولكن تأتي بعدها عضلة عاصرة إرادية.

ويصل البول إلى المثانة من الحالبين بمعدل مليلتر واحد في الدقيقة فتختزنه المثانة حتى تمتلىء فيزداد الضغط لدرجة ينبه معها الأعصاب الحسية الموجودة بغشائها المخاطي الذي يبطنها فتنقبض عضلات جدرانها وتنبسط عاصرتها فيخرج البول توا.

ولاشك أن المثانة جوف وقد اختلف الفقهاء في إدخال مسبار أو دواء عبر الاحليل إلى المثانة فاعتبره الشافعية سببا للإفطار ومفسداً للصيام ولم يعتبره غيرهم. وستأتي مناقشة الأقول المختلفة في ذلك. ومن الواضح أن المثانة لا علاقة لها بالجهاز الهضمي وهو المقصود بالجوف على الحقيقة.

والأوعية الدموية واللمفاوية : كلها مجوفة يجري فيها الدم أو اللمف . . واختلف الفقهاء في الحجامة والفصد فقال بعضهم أنها مفسدة للصيام لقوله ﷺ " أفطر الحاجم والمحجوم" ومال آخرون إلى أن الحجامة ليست سبباً للإفطار وإفساد الصيام لأنه احتجم ﷺ وهو صائم.

وأما إدخال الدواء إلى الأوعية الدموية فقد أفتى معظم

العلماء في العصر الحديث بأنه ليس سببا للإفطار وإفساد الصيام ومن باب أولى الزرق (الحقن) في العضل وتحت الجلد.

وأما إدخال المحاليل والسوائل (مثل محلول الملح ومحلول الجلكوز وهو نوع من السكر والمغذيات الأخرى) فقد كرهها الفقهاء المعاصرون ورأى كثير منهم أنها تفسد الصيام.

في هذه الجولة والإطلالة السريعة تعرفنا على الجوف في اللغة وعند الأطباء وعند الفقهاء وفي الفصل التالي سنناقش أقوال الفقهاء في مفسدات الصوم وبالذات مايسمى المفطرات في مجال التداوي ونحاول أن نطبق هذه التعريفات على أحكام الفقهاء وهل تنطبق هذه التعريفات على أحكام الفقهاء أو تختلف وماهو مدى انطباقها أو افتراقها عن ذلك ليمكن الحكم على هذه المواد هل هي مسببة للإفطار مفسدة للصيام أم لا.

والله يهدي للصواب ولقول الرشاد عليه نتوكل وبه نستعين.

****

الفصل الثاني

مناقشة المفطرات في مجال التداوي
وضابط المفطرات مما يصل إلى الجوف

مناقشة المفطرات في مجال التداوي
وضابط المفطرات مما يصل إلى الجوف

الصوم شرعاً هو الامتناع الفعلي عن المفطرات مثل شهوتي البطن والفرج بنيّة من أهله (وهو المسلم العاقل غير الحائض أو النفساء) (والنيّة هي عزم القلب على إيجاد الفعل جزما دون تردد لتمييز العادة عن العبادة). وحرمان النفس من شهواتها والامتناع عن النساء في النهار من طلوع الفجر الصادق إلى غروب الشمس. قال تعالى: ﴿ فالآن باشروهن وابتغوا ماكتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام إلى الليل ﴾ سورة البقرة ١٩٧.

وفي الحديث القدسي: "كل عمل ابن ادم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به، يدع الطعام من أجلي، ويدع الشراب من أجلي، ويدع زوجته من أجلي". [١] ولم يرد في موضوع الصيام

(١) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه عن أبي هريرة رضى الله عنه.

أي ذكر للجوف في القرآن الكريم أو السنة المطهرة.

وقد ناقشنا بتفصيل واف في الفصل السابق تعريفات الجوف في اللغة وعند الفقهاء وعند الأطباء القدماء وعند الأطباء المحدثين.

وبما أن الصيام إنما هو الإمساك عن الطعام والشراب والجماع والاستمناء والاستقاءة فإنه يتبين من ذلك أن المقصود هو الامتناع عن شهوتي البطن والفرج، وعليه فإن الجوف لايعدو الجهاز الهضمي متى تجاوز الفم ووصل إلى البلعوم (يسميه الفقهاء الحلق)، وبالتالي فإن وصول الطعام والشراب عمداً إلى البلعوم ومنه إلى المريء فالمعدة سبب مجمع عليه في إفساد الصيام وتسبب الفطر إذا كان ذلك في النهار من الفجر إلى غروب الشمس. ويتفق جمهور الفقهاء على أن تعاطي الدواء أو أي شيء آخر عن طريق الفم متى وصل إلى البلعوم ومن ثم إلى المريء والمعدة عمداً في النهار يؤدي إلى إفطار الصائم وإفساد صومه.

يقول فضيلة الشيخ القرضاوي[1]: "وحقيقة الصيام المتفق عليها هي حرمان النفس من شهواتها، ومعاناة الجوع والعطش

(١) القرضاوي . فقه الصيام، دار الصحوة ودار الوفاء، القاهرة ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، ص ٧٣.

والامتناع عن النساء تقرباً إلى الله تعالى. وهذا مابيّنه كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم".

فلم يجيء فيهما منع الصائم من شيء إلا من الأكل والشرب والمباشرة. وكذلك الرفث والصخب والجهل والسبُّ والكذب والزور وسائر المعاصي.[1]

" أي أن الصائم يمنع مما يتنافى مع المعنى المادي للصيام وهو الأكل الشرب والجماع، وهو الذي نتحدث عنه الآن، ومما يتنافى مع المعنى الأدبي له، وهو الجهل والزور وسائر المعاصي والآثام".

ثم أستدل على ذلك بالآية الشريفة والحديث النبوي الكريم المذكورين آنفاً.

وقد رجحَّ فضيلة العلامة الشيخ يوسف القرضاوي حفظه الله مذهب ابن حزم[2] وترجيح الإمام ابن تيميه في تضييق

(١) اتفق الفقهاء على أن المعاصي والرفث والسب والجهل والكذب تذهب الأجر ولكنها لاتفسد الصوم ولم يشذ عن ذلك الا ابن حزم حيث قال أن المعاصي تفسد الصوم وتفطر الصائم.

(٢) يرى فضيلة الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي أن الحجامة لاتفسد الصيام بينما يرى ابن حزم ذلك. وكذلك يرى ابن حزم أن ابتلاع مابين الأسنان يؤدي الى الافطار إذا كان عامداً، بينما لايرى ذلك فضيلة الشيخ القرضاوي. ويرى ابن حزم ان الانزال بالمباشرة للزوجة أو الأمة دون الجماع لايفسد الصيام ويأخذ الشيخ القرضاوي برأي الجمهور في هذه المسألة وهو أن الانزال يفسد الصيام. ولم يجزم الشيخ القرضاوي بأن المعصية مثل الغيبة سبب للافطار مثلما فعل ابن حزم والجمهور على أن المعاصي تذهب بأجر الصيام فقط.

المفطرات في الأكل والشرب والجماع وقال : " أما تحريم الكتاب للأكل والشرب فمسلم، ولكن من الذي يقول ان من ابتلع حصاة، أو حبة خردل، أو مابين أسنانه، أو نخامة، أو بلغم، أو اكتحل فأحس طعم الكحل في حلقه أواستعمل الحقنة في دبره . . . الخ، أن هذا يدخل في عموم الأكل الشرب المحرم على الصائم. وهذا ما لا دليل عليه " .

ومما لاشك فيه أن تعاطي الدواء (وهو ليس طعاماً ولا شرابا) عن طريق الفم وابتلاعه يؤدي قطعاً إلى إفطار الصائم . . ثم إن دخول الدواء أو غيره من الفم أو الأنف إلى البلعوم يؤدي إلى وصول هذه المادة (العين) إلى المريء ثم المعدة . . ولاشك أن ،وصول أي مادة إلى المعدة في أثناء الصيام عمداً تكون سبباً لإفطار الصائم لأن الجوف كما أوضحناه ليس إلا الجهاز الهضمي على الحقيقة.

وقد خالف ابن حزم والإمام ابن تيميه جمهور الفقهاء في موضوع وصول الدواء إلى الجوف (الجهاز الهضمي) واعتبروا أن الحقنة الشرجية والدخان (لم يكن في زمانهم دخان التمباك المعروف اليوم والذي يتعاطى على هيئة سجائر أو شيشة أو غيرها) ليس من المفطرات.

وإليك نص ماجاء في المحلى لابن حزم حول هذه النقطة وغيرها من النقاط المتعلقة بها :

مذهب ابن حزم :

قال ابن حزم في المحلى[1]: " ولاينقض الصوم حجامة ولا احتلام ولا استمناء ولا مباشرة الرجل أمرأته أو أمته المباحة له فيما دون الفرج، تعمد الامناء أم لم يمن، أمذى أم لم يمذ، ولا قبلة كذلك فيهما، ولا قيء غالب، ولاقلس خارج من الحلق ما لم يتعمد رده بعد حصوله في فمه وقدرته على رميه، ولا دم خارج من الأسنان أو الجوف ما لم يتعمد بلعه، ولا حقنة (المقصود الشرجية)، ولا سعوط ولا تقطير في أذن، أو في احليل أو في أنف، ولا استنشاق وإن بلغ الحلق، ولامضمضة دخلت الحلق من غير تعمد، ولا كحل وإن بلغ إلى الحلق نهاراً أو ليلاً، بعقاقير أو بغيرها ولا غبار طحن أو غربلة دقيق، أو حناء، أو غير ذلك، أو عطر، أو حنظل، أو أي شيء كان، ولا ذباب دخل الحلق بغلبه، ولا من رفع رأسه فوقع في حلقة نقطة ماء بغير تعمد لذلك منه، ولامضغ زفت ولا مصطكى أو علك. ولا

(١) ابن حزم : المحلى (دار الفكر الحديث) بيروت، ج٦/ ٢٠٣ و ٢٠٤ المسألة رقم ٧٥٣.

من تعمد أن يصبح جنباً ما لم يترك الصلاة، ولا من تسحر أو وطىء وهو يظن أنه ليل فإذا بالفجر قد طلع، ولا من أفطر بأكل أو وطىء، ويظن أن الشمس قد غربت فإذا بها لم تغرب، ولا من أكل أو شرب أو وطىء ناسيا أنه صائم، وكذلك من عصى ناسيا لصومه، ولاسواك برطب أو يابس، ولا مضغ الطعام أو ذوقه، ما لم يتعمد بلعه، ولا مداواة جائفة أو مأمومة بما يؤكل أو يشرب أو بغير ذلك، ولا طعام وجد بين الأسنان أي وقت من النهار وجد، إذا رمى، ولا من أكره على ما ينقض الصوم، ولادخول حمام ولاتغطيس في ماء ولا دهن شارب، (أي دهن يتشرّب ويمتص من الجلد).

" أما الحجامة قال أبو محمد (وهو ابن حزم) : صح عن رسول الله ﷺ وعن طريق ثوبان، وشداد ابن أوس، ومعقل ابن سنان وأبي هريرة ورافع ابن خديج وغيرهم أنه قال: "أفطر الحاجم والمحجوم، فوجب الأخذ به ألا أن يصح نسخه" .

ويرى ابن حزم أن المعصية تسبب الإفطار وتفسد الصيام، بينما يرى أصحاب المذاهب الإسلامية وجمهور الفقهاء أن المعصية لا تفسد الصيام ولا تسبب الإفطار، وإن كانت تذهب بأجر الصيام كله، وخالف ابن حزم الفقهاء في الاستمناء

ومباشرة الرجل امرأته أو أمته المباحة له فيما دون الفرج ولوتعمد الأمناء، فهو يرى أن ذلك كله لا ينقض الصوم ولا يفسده، والفقهاء مجمعون على أن تعمد الأمناء بالمباشرة دون الفرج سبب لإفساد الصيام. وخالف الفقهاء في الاستنشاق وإن بلغ الحلق (البلعوم) متعمداً. كما خالفهم في مواضع كثيرة في باب مفسدات الصوم وغيرها من أبواب الفقه.

ترجيح ابن تيمية رحمه الله :

تقترب آراء ابن تيميه فيما يسبب إفساد الصوم مع آراء ابن حزم في نقاط كثيرة، رغم اختلاف منهجهما اختلافا كبيراً . . . ولا يرى ابن تيميه أن المعصية سبب لإفساد الصيام، وهو في ذلك مع الجمهور، ولكنه لا يرى أن الحقنة (الشرجية)، ومايقطرّ في الاحليل، والكحل ومداواة المأمومة والجائفة، سبب لإفطار من يفعل ذلك عمداً في نهار رمضان . . كما لا يرى وصول الدخان إلى الحلق سببا للإفطار.

وإليك نص ماقاله في الفتاوى :[1]

" وأما الكحل والحقنة ومايقّطر في إحليله، ومداواة

(١) فتاوى ابن تيميه : طبعة الملك خالد بن عبدالعزيز آل سعود رحمه الله ج ٥/ ٢٣٣ ومابعدها.

المأمومة والجائفة فهذا مما تنازع فيه أهل العلم فمنهم من لم يفطّر بشيء من ذلك، ومنهم من فطّر بالجميع إلا بالكحل، ومنهم من فطّر بالجميع إلا بالتقطير، ومنهم من لم يفطر بالكحل ولا بالتقطير، ويفطّر بما سوى ذلك. والأظهر أنه لايفطر بشيء من ذلك. فلوكانت هذه الأمور مما حرمها الله ورسوله في الصيام، ويفسد الصوم بها لكان هذا مما يجب على الرسول بيانه، ولو ذكر ذلك لعلمه الصحابة وبلّغوه الأمة كما بلّغوا سائر شرعه، فلما لم ينقل أحدٌ من أهل العلم من النبي ﷺ في ذلك لا حديثاً صحيحاً ولا ضعيفاً ولا مسندا ولا مرسلا، علم أنه لم يذكر شيئاً من ذلك . .

"والذين قالوا أن هذه الأمور تفطّر كالحقنة ومداواة المأمومة والجائفة لم يكن معهم حجة عن النبي ﷺ وإنما ذكروا ذلك بما رأوه من القياس، وأقوى ما احتجوا به " بالغ في الاستنشاق إلا أن تكون صائماً" . قالوا فدل ذلك على أن ما وصل إلى الدماغ يفطّر الصائم إذا كان بفعله.[1] وعلى القياس كل ما صل جوفه بفعله من حقنة وغيرها سواء كان ذلك في موضع الطعام والغذاء

(١) في المبالغة في الاستنشاق لايصل الماء إلى الدماغ وإنما يصل إلى البلعوم الأنفي ومنه يتسرب إلى البلعوم والمريء والمعدة، وهذا هو سبب منعه أي الوصول إلى المعدة والجهاز الهضمي لا الوصول إلى الدماغ كما قرر الفقهاء في ذلك الزمان بناء على معلوماتهم الطبية الخاطئة.

أو غيره من حشو جوفه . .

" وإذا كانت الأحكام التي تعم بها البلوى لابد أن يبينها الرسول ﷺ بيانا عاماً، ولابد أن تنقله الأمة، فمعلوم أن الكحل ونحوه مما تعم بها لبلوي، كما تعمُّ بالدهن والاغتسال والبخور والطيب، فلو كان هذا مما يفطّر لبيَّنة الرسول صلى الله عليه وسلم وبيّن الإفطار بغيره، فلما لم يبيّن ذلك عُلم أنه من جنس الطيب والبخور والدهن. والبخور قد يتصاعد إلى الأنف ويدخل في الدماغ وينعقد أجساماً،[1] والدهن يشربه البدن ويدخل إلى داخله، ويتقوى به الانسان، وكذلك يتقوى بالطيب قوة جيدة، فلما لم ينه الصائم عن ذلك دلّ على جواز تطيّبه وتبخيره وادهانه، وكذلك اكتحاله " .

" وقد كان المسلمون في عهده صلى الله عليه وسلم يجرح أحدهم إما في الجهاد أو في غيره مأمومة وجائفة، فلو كان هذا يفطّر لبين لهم ذلك، فلما لم ينه الصائم عن ذلك علم أنه لم يجعله مفطراً " .

وأوضح الإمام ابن تيميه أن ليس في الأدلة أن ماكان

(١) لاينعقد البخور في الدماغ أجساماً وإنما يؤثر على الأعصاب الشميّة الموجودة في الأنف ويتم نقل هذا الاحساس الى الدماغ عبر الأعصاب الشمية وهما اثنان الى المنطقة الشميّة في الدماغ.

واصلا إلى الدماغ أو البدن أو ماكان داخلا من منفذ (غير الفم والحلق) أو واصلا إلى الجوف (بسبب طعنة أو جرح) ونحو ذلك من المعاني يسبب الإفطار ويفسد الصيام إذ لا دليل عليه من الكتاب أو السنة أو قياس صحيح. وأعتبر من قال أن الحقنة (الشرجية)، والتقطير في الاحليل، ومداواة الجائفة والمأمومة، واستخدام الكحل وقطرة العين، وشمّ الدخان[1] واستنشاقه، ومثله البخور والطيب وغيره، وأمثال ذلك أنها كلها مسببة للإفطار مفسدة للصيام، قول بدون علم ولا دليل من كتاب ولا سنة ولا قياس صحيح . . وذلك يتضمن القول على الله بما لايعلم، وهذا لايجوز.

" ومن اعتقد من العلماء أن هذا المشترك (دليل القياس لديهم) مناط الحكم فهو بمنزلة من اعتقد صحة مذهب لم يكن صحيحاً، أو دلالة لفظ على معنى لم يرده الرسول. وهذا اجتهاد يثابون عليه، ولايلزم أن يكون قولا بحجة شرعية يجب على المسلم إتباعها. . " . "ومعلوم أن النص والإجماع أثبتا الفطر بالأكل والشرب والجماع والحيض، وليس كذلك الكحل والحقنة ومداواة المأمومة والجائفة فإن الكحل لايغذي البتة ولا يدخل أحد

(١) لم يكن دخان السجائر والشيشة والأرجيلة وما شابه ذلك معروفاً في زمن ابن تيميه.

كحلا إلى جوفه لا من أنفه ولا من فمه . . كذلك الحقنة لا تغذي، بل تستفرغ مافي البدن كما لو شم شيئاً من المسهلات، أو فزع فزعا أوجب استطلاق جوفه، وهي لاتصل إلى المعدة.[1]

"والدواء الذي يصل إلى المعدة في مداواة الجائفة والمأمومة (والمقصود بهذه المداواة من موضع الجرح لا أنه يبلع ذلك بواسطة الفم وإلا كان سببا واضحاً للإفطار) لا يشبه ما يصل إليها من غذائه. والله سبحانه قال: ﴿كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون) وقال صلى الله عليه وسلم "الصوم جنة" وقال: "إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع والصوم". فالصائم نهى عن الأكل والشرب لأن ذلك سبب التقوى. فترك الأكل والشرب الذي يولد الدم الكثير الذي يجري منه الشيطان إنما يتولد من الغذاء لا عن حقنة، ولا كحل، ولا مايقطر في الذكر، ولأن مايداوي به المأمومة والجائفة وهو متولد عما استنشق من الماء لأن الماء مما

---

(١) سيأتي الكلام في أن الحقنة الشرجية ليست مسهلة فقط كما ذكرها الأمام ابن تيمية وانما منها أدوية وسوائل يتم امتصاصها من الشرج ومن القولون بل وقد تصل الى الأمعاء الدقاق، ويتم في بعض الحالات تغذية الأطفال الصغار بالسوائل عبر الحقن الشرجية، وهذا كله لم يكن معلوماً ولا معروفاً في زمن ابن تيمية.

يتولد منه الدم فكان المنع منه تمام الصوم" .[1]

ويطيل ابن تيميه رحمه الله القول في أن الأكل والشرب تطبخه المعدة ويستحيل دما . وهو قول ليس صحيحاً فالغذاء والماء لايتحولان إلى دم كما كان القدماء يعتقدون مباشرة في المعدة أو في الكبد . وإنما يتم صنع الدم في مواضعه من نقي العظام (في الصغير في العظام جميعها وفي البالغ في العظام المفلطحة والقصيرة) . . ولايعتمد صنعها على الصوم فإن الصائم يصنع الدم في نقي عظامه مثله مثل المفطر . . ولا يؤثر ذلك إلا إذا امتنع عن الطعام فترة طويلة من الزمن وهي أيام وأسابيع متوالية متواصلة الصيام بدون أكل على الإطلاق لا ليلا ولا نهاراً، وهو مخالف للصيام المأمور به .

ويحدث نقص في صنع الدم من العظام لأسباب كثيرة منها نقص الحديد ونقص فيتامين ب١٢ ونقص فيتامين حامض الفوليك . . وهذا قد يحدث لغير الصائم . . بل لا علاقة لهذا النقص بالصيام الشرعي حيث يأكل الإنسان ويشرب من غروب

(١) يتولد الدم في الجنين في الكبد وفي نخاع العظام . وفي المولود يتولد في نخاع العظام كلها وبعد النمو يتولد الدم في نخاع العظام المفلطحة لا الطويلة ، ويكون التولد في مشاش العظم ومايعرف بالنخاع الأحمر ، ويتم تولد الدم حتى في فترة الصيام لأن في الجسم مخازن للحديد وغيره من المواد المطلوبة لتكوين الدم . . ولا علاقة مباشرة له بالصوم الشرعي وتكوين الدم .

الشمس إلى طلوع الفجر . . وماذكره القدماء في هذا الصدد غير صحيح وأوضح الطب الحديث بطلانه .

ولتوضيح آراء المذاهب ا لفقهية في مفطرات الصوم سننقل باختصار وتصرف عن مصادرها الهامة مثل كتاب المغني لابن قدامة (ومعه الشرح الكبير) فهو يذكر أقوال المذاهب الأخرى في المسألة ويذكر أدلتها .

وجاء في المغني لابن قدامة :[1]

والصوم المشروع هو الإمساك عن المفطرات من طلوع الفجر الثاني إلى غروب الشمس "وروي معنى ذلك عن عمروابن عباس وبه قال عطاء وعوام أهل العلم" وتحت باب مايفسد الصوم قال : (ومن أكل أو شرب أو احتجم أو استعطّ أو دخل إلى جوفه شيئاً من أي موضع كان أوقَبَّل فأمنى أو أمذى أو كرّر النظر فإنزل ، أيُّ ذلك فعل عامدا وهو ذاكر لصومه فعليه القضاء بلا كفارة إذا كان صوما واجبا)[2] وفيما ذكره اتفاق بين العلماء على بعضها ، وخلاف شديد على بعضها الآخر ، وذكر ابن قدامة الاتفاق والخلاف فقال :

---

(١) المغني لابن قدامه المقدسي ومثله في الشرح الكبير ج٣/ ٣ .

(٢) المغني ج ٣/ ٣٥ .

"في هذه المسألة فصول (احدها) " أنه يفطر بالأكل والشرب بالإجماع وبدلالة الكتاب والسنة. أما الكتاب فقول الله تعالى : ﴿ وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام إلى الليل﴾ مدّ الأكل والشرب إلى تبين الفجر ثم أمر بالصيام عنهما. وأما السنة فقول النبي ﷺ : " والذي نفسي بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلي " . وأجمع العلماء على الفطر بالأكل والشرب بما يتغذى به فعامة أهل العلم على أن الفطر يحصل به. وقال الحسن بن صالح : لا يفطر بما ليس بطعام ولا شراب. وحكى عن أبي طلحة الأنصاري أنه كان يأكل البرد في الصوم ويقول ليس بطعام ولا شراب. ولعل من يذهب إلى ذلك يحتج بأن الكتاب والسنة إنما حرّما الأكل والشرب، فما عداهما فيبقى على أصل الإباحة. ولنا دلالة الكتاب والسنة على تحريم الأكل والشرب على العموم فيدخل فيه محل النزاع. ولم يثبت عندنا مانقل عن أبي طلحة فلا يعدّ خلافا " .

ثم تحدث عن الحجامة والخلاف حولها كما ذكر الأحاديث فيها. وانتهى إلى أن الحجامة تسبب إفطار الحاجم والمحجوم

لقوله ﷺ : "أفطر الحاجم والمحجوم" .

ثم ذكر الجوف فقال مانصه : "يفطر بكل ما أدخله إلى جوفه أو مجوف في جسده كدماغه وحلقه ونحو ذلك مما ينفذ إلى معدته إذا وصل باختياره، وكان مما يمكن التحرز منه سواء وصل من الفم على العادة أو غير العادة كالوجور[1] واللدود[2]، أومن الأنف كالسعوط[3] أو ما يدخل من الأذن إلى الدماغ، أو ما يدخل من العين إلى الحلق كالكحل، أو ما يدخل إلى الجوف من لدبر بالحقنة (المقصود الشرجية)، أو ما يصل من مداواة لجائفة[4] إلى جوفه، أو من دواء المأمومة[5] إلى دماغه فهذا كله يفطره لأنه واصل إلى جوفه باختياره فأشبه الأكل. وكذلك لو جرح نفسه أو جرحه غيره باختياره فوصل إلى جوفه سواء استقرّ في جوفه أو عاد فخرج منه. وبهذا كله قال الشافعي. وقال مالك لا يفطر بالسعوط إلا أن ينزل إلى حلقه ولا إذا داوى المأمومة

(١) الوجور : مايسقاه المريض من الدواء من وسط الفم.

(٢) اللدود : مايسقاه الانسان من الدواء من أحد جانبي الفم. أخذ من لديدي الوادي وهما جنباه. وقال الأصمعي: " اللدود ما سقي الانسان في أحد شقي الفم" وفي البخاري ومسلم عن عائشة قالت " "لدّينا رسول الله صلى الله عليه وسلم . . . . " الحديث .

(٣) مايتعاطاه الانسان من الدواء أو غيره بواسطة الأنف.

(٤) الجائفة : الطعنة أو الجرح الذي وصل إلى جوف البطن وهو المعروف بالغشاء البريتوني.

(٥) المأمومة : الاصابة أو الطعنة أو الجرح الذي يصل إلى أم الرأس وهي خريطة الدماغ والمعروفة في الطب الحديث بالأم الجافة وتجاوزتها إلى الأم الحنون من أغشية الدماغ.

والجائفة، واختلف عنه في الحقنة (الشرجية). واحتج بأنه لم يصل إلى الحلق منه شيء، أشبه ما لم يصل إلى الدماغ ولا الجوف، ولنا أنه واصل إلى جوف الصائم باختياره فيفطره كالواصل إلى الحلق. والدماغ جوف والواصل إليه يغذيه فيفطره كجوف البدن"[1]

ثم ذكر ابن قدامة الكحل فقال: "فأما الكحل فما وجد طعمه في حلقه أو علم وصوله إليه فطر وإلا لم يفطر... وبنحو ما ذكرناه قال أصحاب مالك.. وعن أبي ليلى وابن شبرمة أن الكحل يفطر الصائم، وقال أبو حنيفة والشافعي: لا يفطره لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه اكتحل في رمضان وهو صائم، ولأن العين ليست منفذاً فلم يفطر بالداخل منها كما لو دهن رأسه.. ولنا أنه وصل إلى حلقة ماهو ممنوع من تناوله بفيه فأفطر به كما لو أوصله من أنفه. وما رووه لم يصح قال الترمذي: "لم يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم في باب الكحل للصائم شيء.

"وما لايمكن التحرز منه كابتلاع الريق لايفطره لأن ذلك يشق عليه فأشبه غبار الطريق وغربلة الدقيق فان جمعه ثم ابتلعه

(١) المغني لابن قدامة ج ٣/ ٣٧ - ٦٤ وليس الدماغ داخلا في تعريف الجوف كما أسلفنا في الفصل الأول وبالتالي فإن ما وصل إلى الدماغ لا يعتبر مفسداً للصوم.

قصدا لم يفطره . . وفيه وجه آخر أنه يفطره لأنه أمكنه التحرز منه أشبه ما لو قصد ابتلاع غبار الطريق والأول أصح، فإن خرج ريقه إلى ثوبه أو بين أصابعه أو بين شفتيه ثم عاد فابتلعه أو ابتلع ريق غيره أفطر .

وهكذا قال أيضا في النخامة والقلس والقيء إذا ازدرده أفطر وإن كان يسيرا . "وان قطّر في إحليله دهنا لم يفطر سواء وصل إلى المثانة أو لم يصل" وإذا قبّل فأمنى أو أمذى فلا يخلوا المقبّل من ثلاثة أحوال : (أحدها) أن لا ينزل فلا يفسد صومه بذلك و (الثاني) أن يمني فيفطر بغير خلاف نعلمه ولأنه أنزل مباشرة فأشبه الإنزال بالجماع دون الفرج[1] و(الثالث) أن يمذي فيفطر عند أمامنا ومالك . وقال أبو حنيفة والشافعي لايفطر، وروي ذلك عن الحسن والشعبي والأوزاعي لأنه خارج لايوجب الغسل فأشبه البول"

ثم قال : " إن المفسد للصوم من هذا كله ما كان عن عمد وقصد فأما ما كان منه عن غير عمد وقصد كالغبار الذي يدخل الحلق من الطريق ونخل الدقيق، والذبابة التي تدخل حلقة، أو يرش عليه الماء فيدخل مسامعه أو أنفه أو حلقه، أو يلقى في ماء

(١) خالف في ذلك ابن حزم كما قد نقلناه عنه من المحلّى. وقول ابن حزم شاذ.

فيصل إلى جوفه، أو يسبق إلى حلقة من ماء المضمضة أو يصب في حلقه أو أنفه شيء كرها، أو تداوى مأمومته أو جائفته بغير اختياره أو يحجم كرها، أو تقبّله امرأة بغير اختياره فينزل أو ما أشبه هذا لا يفسد صومه لا نعلم فيه خلافا" .

ثم قال إنه متى أفطر بشيء من ذلك (أي مما تقدم ذكره) فعليه القضاء لانعلم في ذلك خلافا لأن الصوم كان ثابتاً في الذمة فلا تبرأ منه إلا بأدائه ولم يؤده، فبقي ما كان عليه، ولا كفارة في شيء مما ذكرناه في ظاهر المذهب. وهو قول سعيد بن جبير والنخعي وابن شيرين وحماد والشافعي، وعن أحمد أن الكفارة تجب على من أنزل بلمس أو قبلة أو تكرار نظر لأنه أنزال عن مباشرة، أشبه الإنزال بالجماع. "ومن استقاء فعليه القضاء ومن ذرعه القيء فلا شيء عليه" . "ومن ارتد عن الإسلام فقد أفطر. ومن نوى الإفطار فقد أفطر" . " ومن جامع في الفرج فأنزل أو لم ينزل، أو دون الفرج فأنزل عامداً أو ساهياً فعليه القضاء والكفارة إذا كان في شهر رمضان. والجماع دون الفرج إذا إقترن به الانزال فيه عن أحمد روايتان (أحدهما) عليه الكفارة (والثانية) لاكفارة فيه وهو مذهب الشافعي وأبي حنيفة لأنه فطر بغير جماع . . ويفسد صوم المرأة بالجماع بغير خلاف نعلمه في المذهب لأنه

نوع من المفطرات يستوي فيه الرجل والمرأة، وهل يلزمها الكفارة؟ على روايتين (احداهما) يلزمها وهو اختيار أبي بكر وقول مالك وأبي حنيفه وأبي ثورو ابن المنذر لأنها هتكت صوم رمضان بالجماع فوجبت عليها الكفارة (والثانية) : لاكفارة عليها. قال ابو داود : سئل أحمد من أتى أهله في رمضان أعليها كفارة؟ قال : "ماسمعنا أن على إمرأة كفاره'. وهذا قول الحسن. وللشافعي قولان كالروايتين. ووجه ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر الواطي في رمضان أن يعتق رقبه، ولم يأمر في المرأة بشيء مع علمه بوجود ذلك منها، ولأنه حق مال يتعلق بالوطء من بين جنسه فكان على الرجل كالمهر". انتهى

وقد بحث فضيلة الشيخ الدكتور وهبة الزحلي في كتابه "الفقه الإسلامي وأدلته" بتفصيل واف أقوال الأئمة الأربعة فيما يفسد الصوم وما لا يفسده[1] ومايوجب القضاء بدون كفارة وما يوجب الكفارة والقضاء . . . وفي نهاية بحثه الطويل قال : "وخلاصة أقوال المذاهب في أهم المواضع السابقة : أن الجماع في نهار رمضان موجب للقضاء والكفارة والإمساك بقية النهار، وكذلك الأكل والشرب عمداً عند الحنفية والمالكية خلافاً لغيرهم

(١) د. وهبه الزحيلي: الفقه الإسلامي وأدلته ج٢/ ٦٥١-٦٨٧.

قياساً على الجماع، بجامع انتهاك حرمة الشهر .

" ويفطر الصائم بالاتفاق بالقيء عمداً أو بتناول أي شيء مادي يصل إلى الجوف عمداً، سواء أكان مغذياً أم غير مغذ، ولا يفطر بالفصد اتفاقا كما لا يفطر بالأكل والشرب ونحوه ناسياً، ويفطر عند المالكية، ولا يفطر بالأكل مكرها عند الشافعية والحنابلة، ويفطر عند المالكيةوالحنفية، ولا يفطر عند الحنابلة بغلبة ماء المضمضة ويفطر بها عند المالكية، أما عند الشافعية فيفطر في حالة المبالغة أو العبث والتبرد أو الزيادة على ثلاث .

" ولا يفطر بالاكتحال عند الشافعية والحنفية، ويفطر به عند المالكية والحنابلة إن وجد طعم الكحل في الحلق . ولا يفطر عند الجمهور بالحقنة في الإحليل ويفطر بها عند الشافعية، ولا يفطر عند الجمهور بنبش الأذن بعود أو إدخاله فيها ويفطر به عند الشافعية .

" ولا يفطر بالحجامة عند الجمهور وإنما تكره، ويفطر بها عند الحنابلة، ولا يفطر بإنزال المذى عند الحنفية والشافعية، ويفطر به عند المالكية والحنابلة في حال التقبيل أو المباشرة فيما دون الفرج، أما في حال تكرار النظر فلا يفطر به عند الحنابلة ويفطر به عند المالكية أو بالتفكير عند الاستدامة أو الاعتياد .

وتتداخل الكفارة فلا تجب إلا واحدة بتكرر الإفطار في أيام عند الحنفية، وتتعدد الكفارة بتعدد الإفطار في أيام مختلفة عند الشافعية والحنابلة والمالكية (الجمهور)" . انتهى

****

الفصل الثالث

مناقشة المفطرات في مجال التداوي
وضابط المفطرات مما يصل إلى الجوف

مناقشة المفطرات في مجال التداوى
ضابط المفطرات مما يصل إلى الجوف

بما أن الصيام إنما هو الإمساك عن الطعام والشراب والجماع فإنه يتبين من ذلك أن المقصود هو الامتناع عن شهوتي البطن والفرج، وعليه فإن الجوف لايعدو الجهاز الهضمي متى تجاوز الفم ووصل إلى البلعوم (يسميه الفقهاء الحلق) وبالتالي فإن وصول الطعام والشراب عمداً إلى البلعوم ومنه إلى المريء فالمعدة سبب مجمع عليه في إفساد الصيام وتسبب الفطر إذا كان ذلك في النهار من الفجر إلى غروب الشمس، ويتفق جمهور الفقهاء على أن تعاطي الدواء أو أي شيء اخر عن طريق الفم متى وصل إلى البلعوم من ثَمَّ إلى المريء فالمعدة عمداً في نهار الصيام يؤدي إلى إفطار الصائم وإفساد صومه.

ويمكننا أن نقسم قائمة المفطرات في مجال التداوي إلى الأقسام التالية:

(١) ما يدخل الجسم عن طريق الجهاز التنفسي :

مثل البخاخ للربو وما يستنشق من الأدوية وتدخين السجائر والشيشة والنشوق (السعوط) . . وهذه كلها إما سوائل وفيها مواد عالقة وتدخل إلى الفم أو الأنف وتستنشق ومنها إلى البلعوم (الفمي أو الأنفي)، ومن البلعوم إلى المريء فالمعدة. كما يذهب جزء آخر من البلعوم الفموي إلى البلعوم الحنجري ومنه إلى الرغامى فالشعب الهوائية فالرئتين . . وقد أسلفنا القول في أن هذه المواد تدخل إلى الجوف الذي حددناه بالجهاز الهضمي . . ولا شك أن من تعمد رإخال هذه المواد إلى فمه أو أنفه ومنها إلى بلعومه ومعدته يكون مفسداً لصومه متى فعل ذلك في نهار الصيام .[١]

وأما الأوكسجين الذي يعطي لبعض المرضى فهو هواء وليس فيه مواد عالقة، لا مغذية، ولا غيرها، ويذهب أغلبه إلى الجهاز التنفسي وتنفس الهواء كما هو معلوم ضروري لحياة

---

(١) الواقع أن الكمية التي تدخل أثناء استخدام بخاخ الربو ضئيلة جداً من المواد العالقة وتقاس بالميكروجرام وهي في حدود مائتي ميكروجرام (الميكروجرام واحد على مليون من الجرام). ولا تزيد الكمية التي تصل الى المريء عن جزء يسير من النقطة لأن معظم الكمية تذهب الى الرئتين . . وذلك كله أقل بكثير مما يمكن أن يتسرب من الماء أثناء المضمضة بدون مبالغة أو الاستنشاق بدون مبالغة. وكلاهما من سنن الوضوء، وعند بعض الفقهاء من الواجبات.

الإنسان ولم يقل أحد قط أن استنشاق الهواء مفطر للصيام.

وأما التخدير الكلي فإنه غازات مستنشقة مثل الأيثر وغيره وعادة ما يبدأ التخدير الكلي بحقنة في الوريد من عقار الباربيتورات السريع المفعول جداً فينام الإنسان في ثوان معدودة ثم يتم إدخال أنبوب مباشر إلى القصبة الهوائية عبر الأنف فلا يدخل إلى المريء أو المعدة منه شيء . . ويتم إجراء التنفس بواسطة الآلة وبواسطتها أيضاً يتم إدخال الغازات المؤدية إلى فقدان الوعي فقداناً تاماً . . وهذه كلها لا علاقة لها بالجهاز الهضمي (الجوف كما حددناه) وبالتالي ليست مفسدة للصيام . . ويبقى في الموضوع مدة الإغماء وفقدان الوعي وهي في ذاتها قد تكون مسببة للإفطار، ثم يبقى بعدها موضوع إعطاء المريض السوائل (المغذية) بواسطة الزرق في الوريد وهي كما يرى كثير من الفقهاء مسببة للافطار وإن كانت لا تصل إلى الجهاز الهضمي.

(٢) مايدخل الجسم عبر الفم والحلق :

ومن ذلك الغرغرة وبخاخ تعطير الفم وهذه تشبه المضمضة فإن بالغ الشخص أو زاد عن الثلاث (عند الشافعية) ووصل الماء

إلى الجوف (الحلق والبلعوم والمريء والمعدة) فإنها لاشك تسبب الإفطار وكذلك السؤال عن قلع السن في نهار رمضان ويستخدم الطبيب البنج (التخدير) الموضعي فإن كان التخدير بحقنة (إبرة) موضعية فلا بأس وإن كان بواسطة بخاخ عاد الحكم إلى ماسبق أن ذكرناه من وصول مواده إلى الحلق والبلعوم والمريء والمعدة . . ثم أن الدم أو الإفرازات التي تتجمع في الفم في عملية قلع السن أو أي عملية أخرى في الفم إن ابتلعها المريض عامدا أفطر، وإن انسابت دون إرادته فلا شيء عليه لما ثبت من قوله صلى الله عليه وسلم: " من أكل أو شرب ناسياً فليتم صومه فإنما أطعمه الله وسقاه " وفي رواية الدار قطني : " إذا أكل الصائم ناسيا أو شرب ناسيا فإنما هو رزق ساقه الله إليه ولا قضاء عليه " .

(٣) مايدخل إلى الدبر :

وهو الحقنة الشرجية ومنظار الشرج وإصبع الطبيب والفرزجات (اللبوس) . . والدبر متصل بالمستقيم والمستقيم متصل بالقولون وهي المعي الغليظ يبدأ بالقولون السيني Sig-moid Colon ثم القولون النازل Descending Colon ثم القولون المعترض Transverse Colon ثم القولون الصاعد Ascending

Colon ثم الأعور ومنه إلى الأمعاء الدقيقة. ويمكن امتصاص الدواء أو السوائل منها، وهي جزء من تعريفنا للجوف وهو الجهاز الهضمي وعليه فيبدو والله أعلم إنها سبب لإفساد الصيام وإفطار المريض.

(٤) مايدخل عن طريق الجهاز التناسلي للمرأة :

وفيه المهبل Vagina وهو الذي يطلق عليه الفرج والقبل وقد أسلفنا القول أنه ليس بالتجويف على الحقيقة بل الجداران الأمامي والخلفي ملتصقان، ولكنهما مرنان فيسمحان بدخول الذكر أو نزول الجنين أو الدم أو إدخال منظار أو إصبع أو فرزجة ويمكن امتصاص الدواء من المهبل وتستخدم بعض الأدوية لهذا الغرض بواسطة الفرزجات (اللبوس، التحاميل) أو بواسطة ما يسمى دوش مهبلي (غسيل المهبل) . . الخ ولولا أن المهبل هو مكان الجماع وإدخال الحشفة فيه مسبب للإفطار بالجماع (إذا كان ذلك عمداً في نهار الصيام)، فإنه من اليسير القول بأن المهبل ليس الجوف المراد في موضوع الصيام ولاعلاقة له بالجهاز الهضمي.

أما إدخال المنظار أو اللولب إلى الرحم فإنه لا يعد جوفا

وليس هو محل للجماع إذ القضيب لا يدخل الرحم على الإطلاق وإنما يبقى في المهبل فقط والرحم بعيد عنه . . ولا شك إذن أن ذلك ليس من الجوف المقصود به الصيام وهو بعيد كل البعد عنه فلا يكون إذن سبباً للإفطار وإفساد الصيام .

(٥) ما يدخل إلى الجهاز البولي :

وهو إدخال دواء أو قسطرة في الإحليل (مجرى البول في الذكر أو الأنثى) وإيصاله إلى المثانة فذلك كله ليس جوفا بالمعنى الذي حددناه في موضوع الصيام ولا علاقة له بالجهاز الهضمي الذي حددنا به الجوف المقصود بالصيام وكذلك لا علاقة له بالمهبل إذ فتحة مجرى البول في المرأة بعيدة عن فتحة المهبل وبالتالي فإن إدخال قسطرة أو منظار إلى الجهاز البولي أو إدخال سائل أو دواء أو غيره إلى المثانة لا يعتبر مفسداً للصيام (خلافا للشافعية الذين يرون أن إدخال الدهن أو الدواء أو السائل إلى الاحليل ومنه إلى المثانة مفسداً للصيام) .

(٦) ما يصل عبر الأذن :

أوضحنا فيما سبق أن لا صلة مباشرة بين الأذن الخارجية

وبين البلعوم (الحلق) وبالتالي فإن نبش الأذن أو إدخال عود فيها أو وضع دواء سائل أو ماء أو غيره لا يصل إلى البلعوم طالما أن الطبلة سليمة . . والطبلة مثل الجلد تماماً في تركيبها وتشربها الدواء أو السائل مثل تشرب الجلد وتدخل في حكمه، لذا فإن مايوضع في الأذن ليس سببا للإفطار ولا يصل إلى الجوف (المقصود بالجهاز الهضمي).

أما إذا كانت الطبلة مخروقة فإن السوائل قد يصل منها شيء يسير إلى الأذن الوسطى ومنها عبر القناة السمعية البلعومية (قناة استاكيوس) إلى البلعوم الأنفي كما قد مر معنا ومن البلعوم الأنفي إلى البلعوم الفموي ومنه إلى المريء فالمعدة (وإن كانت الكمية التي يمكن أن تصل عبر هذا الطريق ضئيلة جداً) فإن ذلك قد يكون سبباً للإفطار وإفساد الصيام.

(٧) تنظير البطن :

من الجدار الخارجي للبطن عبر جهاز التنظير ويتم ذلك لإجراء التشخيص للأمراض وإجراء العمليات الجراحية، ولسحب البيضات في عملية التلقيح الصناعي (طفل الأنبوب)، وغيرها من الأغراض، هذه كلها لاتعتبر من الجوف الذي حددناه بالجهاز الهضمي.

أما المناظير المختصة بالجهاز الهضمي سواء كانت من أعلى (أي الفم وتصل إلى المعدة) أو من أسفل (أي من الدبر وتصل إلى الأمعاء) فإنها كلها مواد تدخل إلى الجوف، وان كانت لا علاقة لها بالغذاء. وفي معظم الأحوال تقتصر على التشخيص فقط ونادراً مايتم عبرها حقن دواء للدوالي أو غيرها.

وعليه فإن حكمها سيأخذ حكم ماتم إدخاله عبر الفم أو عبر الشرج (الدبر) وفي ظني أنها سبب للإفطار، والله أعلم.

(٨) أخذ عينات (خزعات) من الكبد أو غيره من الأعضاء :

الباطنة مثل الكبد أو الرئة أو الكلى أو أخذ شيء من السائل الموجود في الغشاء البلوري المحيط بالرئة أو الغشاء البريتوني المحيط بأحشاء البطن في حالة الاستقساء أو السائل الموجود حول الجنين وهو السائل الأمينوسي (الرهل) فكلها كما يبدو لا علاقة لها بالجهاز الهضمي الذي قلنا أنه المقصود بالجوف في حالة الصيام، وبالتالي فإنها لاتكون في حد ذاتها سبباً في الإفطار ولا مفسدة للصوم.

(٩) إجراء غسيل الكلي البيروتوني :

وفي هذه الحالة يتم إدخال لترات من السوائل إلى الغشاء

لبريتوني وإبقائها فترة ثم سحبها مرة أخرى، ثم إعادة العملية ذاتها مرات عديدة، وفي هذه الحالة يتم تبادل المواد الموجودة في الدم عبر البريتون ويبدو لي (والله أعلم) أن هذا كله لا علاقة له بالجهاز الهضمي، ولكن يتم بها امتصاص بعض المواد مثل الجلوكوز وغيره، وهل يعتبر ذلك مما يتشربه الجسم فلا تعدّ سبباً للافطار؟ أم تعد مثل المحاليل المغذية التي تصل عبر الأوردة فتعتبر مسببة للافطار؟ مسألة تحتاج الى مزيد من الدراسة والنظر.

(١٠) ما قد يصل إلى الجسم عبر الجلد :

مثل الأدهان والمروخات والطلاءات ويتم امتصاصها عبر الجلد كما انتشرت في الآونة الأخيرة وضع الدواء على لصقة توضع على الجلد ويتشربها الجلد وتمتص منه وكذلك الحقن (الزرق) في الجلد وتحت الجلد وفي العضلات..

وسواء كانت للعلاج أو التشخيص أو الوقاية مثل التطعيم ضد الأمراض المعدية أو التخدير الموضعي فإنهاكلها ليست سببا للإفطار وإفسادالصيام لأنها لا علاقة لها بالجهاز الهضمي، وأما إعطاء الإبر (الزرق، الحقن) تحت الجلد بمادة تعرف باسم الأبومورفين أو غيرها لأحداث القيء (في حالات التسمم) فإنها

ربما دخلت في موضوع القيء عمدا (الاستقاء) وهو كما مر معنا سبب للإفطار لقوله صلى الله عليه وسلم : " من ذرعه القيء وهو صائم فلا قضاء عليه ومن استقاء فليقضِ " .[1]

(١١) ماقد يصل الى الجسم عبر الأوعية الدموية مثل الأوردة والشرايين :

ومثالها الزرق (الحقن) الوريدية وسواء كانت عقاقير للتداوي أو للتشخيص بمواد ملونة كما يمكن إدخال قسطرة (أنبوب دقيق) عبر الأوردة أو عبر الشرايين وتصل إلى القلب مباشرة لتصوير شرايين القلب أو مداواتها .

ويمكن نقل الدم أو مشتقاته عبر الأوردة كما يمكن سحبه منها ويمكن إجراء الغسيل الكلوي الدموي (الانفاذ الدموي) عبر أوردة متصلة بشريان .

ويمكن كذلك إعطاء سوائل مغذية بواسطة الحقن (الزرق) بالوريد حيث تسرب هذه المحاليل .

وكل هذه الوسائل أفتى كثير من أصحاب الفضيلة العلماء الأجلاء بعدم كونها سبباً للإفطار ما عدا المغذيات التي أفتى

(١) رواه الدارمي وأصحاب السنن وابن حبان والحاكم والداقطني .

أغلبهم بأنها سبب للإفطار، وهذه الأوردة والشرايين رغم أنها مجوفة إلا أنها لا تدخل في تعريف الجوف المخصوص المقصود بالصيام وهو الجهاز الهضمي.

(١٢) سحب الدم والحجامة والفصد :

ذكر أكثر العلماء القدماء والمحدثين بأن ذلك كله لا يسبب الإفطار.. وفي الحجامة كلام مختلف فيه بناء على قوله ﷺ: "أفطر الحاجم والمحجوم" وهل هذا الحديث منسوخ أو ناسخ لحديث أنه احتجم ﷺ وهو صائم.. وقد كره العلماء الحجامة والفصد في نهار رمضان لأنها تضعف الجسم.. أما سحب كمية قليلة من الدم لفحصه فلا يؤثر.

أرجو أن أكون قد استوفيت الرد على النقاط المذكورة في رسالةالأمانة العامة للمجمع الفقهي الموقر حول المفطرات في مجال التداوي. من الناحية الطبية مع بعض الإشارات من الناحية الفقهية المتعلقة بها، فإن أصبت فبفضل من الله وإن أخطأت فمني ومن الشيطان، واستغفر الله العظيم وأتوب إليه من خطأ عمد أو سهو، (ربنا لاتؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولاتحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا، ربنا

ولاتحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين). وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين.

*****

الدليل الطبي للمريض في شهر الصيام [1]

مع إطلالة كل رمضان يتساءل كثير من المرضى فيما إذا كانوا يستطيعون الصوم أم لا، وفيما إذا كان صيام رمضان يزيد من مرضهم سوءاً، أو يفاقم من أعراضهم أم لا.

أسئلة كثيرة تتردد على بال المرضى وأقربائهم، والبعض يقع فريسة الأوهام، أو يفتيه جاهل بالطب فيصوم أو يفطر، دون الرجوع إلى طبيب أخصائي مسلم يقيّم حالته، ويعطيه النصيحة والإرشاد.

وكثير من المرضى من يريد الصيام، وهو لايقوى عليه، أو قد يكون في صيامه عبء على مرضه، أو تفاقم في أعراضه، وكثيراً ماكانت الآراء الطبية مبنية على خبرات ذاتية، أو على مانشر في مقالات متفرقة هنا وهناك، وللأسف الشديد

(١) بحث مقدم إلى مجمع الفقه الاسلامي في الدورة التاسعة ١٤١٥هـ من الأستاذ الدكتور حسان شمسي باشا.

فليس هناك في كلية الطب، على حد علمي، مادة اسمها " الصيام وتأثيراته على الأمراض المختلفة " . كما أنه ليس هناك مرجع طبي يجمع كل الدراسات العلمية المنشورة في المجلات الطبية الأمريكية والأوروبية والعربية والمتعلقة بالصيام. فحتى سنوات قليلة خلت لم تكن هناك سوى دراسات محدودة جداً في تلك المجالات .

وقد سرَّني أن أجد عدداً من الدراسات العلمية الحديثة، وقد نشرت حول الصيام في عدد من المجلات الطبية العالمية. فكانت هناك دراسة في مجلة (B.M.J) البريطانية عن الصيام ومرضى السكري، وأخرى عن تأثير الصيام على الوليد، وثالثة حول تأثير الصيام على مرضى الفشل الكلوي، وهكذا. ومن هنا كانت الحاجة ماسة إلى وضع كتاب شامل لموقف الطب من الصيام في العديد من أمراض القلب والصدر والهضم والكلى . . . ويشمل كافة الدراسات العلمية الحديثة، ووصايا الخبراء في تلك المجالات.

ولهذا قمت بتأليف كتابي " الدليل الطبي والفقهي للمريض في شهر الصيام "[1]، وقد رأيت أن أضع أمامكم ملخصاً لما جاء

(١) وقد أصدرته حديثاً مكتبة السوادي بجدة.

في ذلك الكتاب. من شاء المزيد من التفاصيل رجع إلى ذلك المصدر. وينبغي التنويه إلى أن هذه الإرشادات ماهي إلا وصايا عامة، ولا يمكن أن تنطبق بحال من الأحوال على كل المرضى. ويعود تقييم حالة المريض وإرشاده إلى طبيبه المختص المسلم فهو أدرى بحاله وأعلم بأمره.

(١) مريض الجهاز الهضمي في شهر الصيام :

يعتبر شهر رمضان بحق شهر إجازة للجهاز الهضمي. ولكن المؤسف حقاً أن يتخم الكثير منا نفسه عند الإفطار بشتى فنون الطعام والشراب، فيحّول سعادة المعدة والأمعاء إلى تخمة وعناء. وسنستعرض أهم أمراض الجهاز الهضمي ذات العلاقة بالصيام.

أ - قرحة المعدة أو الاثنى عشر Peptic ulcer

يشكو المصاب بالقرحة الحادة من الام في المعدة عند الجوع، أو ألم يوقظه من النوم. ويخف ألم قرحة الإثنى عشر بتناول الطعام. ولكن كثيراً مايعود الألم بعد عدة ساعات.

ينبغي على مريض القرحة المصاب بإحدى الحالات التالية الإفطار :

١ - **القرحة الحادة** : وذلك حين يشكو المريض من

أعراض القرحة، كالألم عند الجوع، أو ألم يوقظه من النوم.

٢ - **في حال حدوث انتكاسة حادة في القرحة المزمنة** : وينطبق في تلك الحالة ماينطبق على القرحة الحادة.

وكذلك الأمر عند الذين تستمر عندهم **أعراض القرحة** رغم تناول العلاج بانتظام.

٣ - **عند حدوث مضاعفات القرحة**، كالنزيف الهضمي، أو عند عدم إلتئام القرحة رغم الاستمرار بالعلاج الدوائي.

ب - عصر الهضم Dyspepsia

وهي كلمة شائعة تشمل عدداً من الأعراض التي تعقب تناول الطعام وتشمل الألم البطني وغازات البطن والتجشؤ والغثيان، وحس عدم الارتياح في أعلى البطن، وخاصة عقب تناول وجبة كبيرة، أو بعد تناولها بسرعة أو بعد تناول طعام غني بالدسم أو البهارات.

وكثيراً ماتتحسن أعراض هؤلاء المرضى بصيام رمضان، شريطة ألا تكون لديهم قرحة حادة في المعدة أو الإثنى عشر، أو التهاب في المريء أو بسبب عضوي آخر، وشريطة تجنب الإفراط في تناول الطعام عند الافطار والسحور.

جـ - فتق المعدة (أو فتق الحجاب الحاجز) Hiatus Hernia

يحدث فتق المعدة بشكل خاص عند البدينين، وخاصة عند النساء في أواسط العمر، ومعظم المصابين بفتق المعدة لا يشكو من أية أعراض، ولكن قد يشكو البعض من حرقة وحموضة في المعدة وخاصة عند امتلائها أو الانحناء إلى الأمام أو الإستلقاء حيث يعود جزء من محتويات المعدة إلى المريء.

وينبغي على البدينين أن يسعوا جاهدين لإنقاص وزنهم، فهو خير علاج لحالتهم. ينصح المريض بتناول وجبات صغيرة عند الإفطار والسحور، مع تناول الأدوية بإنتظام وتخفيف الدسم، والتوقف عن التدخين وترك فترة ٤ ساعات بين وجبة الطعام والنوم. أما إذا كانت هناك مشقة على المريض، أو ازدادت الأعراض سوءاً بالصيام فينصح المريض بالإفطار.

د - الإسهال :

ينصح المريض المصاب بالإسهال بالإفطار، وخاصة إذا كان الإسهال شديداً فلايستطيع المريض الصيام لعدم قدرة الجسم على تعويض ما يفقده من سوائل وأملاح ومعادن بسبب الإسهال. وإذا صام المصاب بالإسهال فقد يصاب بالجفاف

وهبوط في ضغط الدم أو يصاب بالفشل الكلوي.

هـ - أمراض الكبـــد :

ينصح المصابون بأمراض الكبد المتقدمة كتشمع الكبد وأورام الكبد بالإفطار كما ينصح بالإفطار أيضاً المصابون بالتهاب الكبد الفيروسي الحاد أو الإستسقاء في البطن (الحبن).

و - عمليات قطع المعدة :

هناك بعض المرضى الذين أجـريت لهم عـمليـة قطع أواستئصال جزء من المعدة بسبب قرحة في المعدة مثلا. وهؤلاء المرضى يحتاجون إلى تناول وجبات صغيرة من الطعام وبطريقة منتظمة وقد لايستطيعون الصيام.

(٢) مريض القلب في شهر الصيام :

لاشك أنه في الصيـام فائدة عظيـمـة لكثيـر من مـرضى القلب. ولكن هناك حالات معينة قد لاتستطيع الصيام.

أ - ارتفاع ضغط الدم :

يفيد الصيام في علاج ارتفاع ضغط الدم، فانقاص الوزن

الذي يرافق الصيام يخفض ضغط الدم بصورة ملحوظة، كما أن الرياضة البدنية من صلاة تراويح وتهجد وغيرها تفيد في خفض ضغط الدم المرتفع، وإذا كان ضغط الدم مسيطراً عليه بالدواء أمكن للمريض الصيام شريطة أن يتناول أدويته بانتظام، فهناك حالياً أدوية لارتفاع ضغط الدم تعطى مرة واحدة أو اثنتان في اليوم.

ب - فشل القلب (قصور القلب) Heart Failure

فشل القلب نوعان : فشل القلب الأيسر وفشل القلب الأيمن، ويشكو المريض عادة من ضيق النفس عند القيام بالجهد. وقد يحدث ضيق النفس أثناء الراحة، وينصح المصاب بفشل القلب الحاد Acute Heart Failure بعدم الصيام حيث يحتاج لتناول مدرات بولية وأدوية أخرى مقوية لعضلة القلب وكثيراً مايحتاج إلى علاج في المستشفى.

أما إذا تحسنت حالته واستقر وضعه وكان لا يتناول سوى جرعات صغيرة من المدرات البولية فقد يمكنه الصيام. وينبغي استشارة طبيب القلب المسلم فهو الذي يقرر ما إذا كان المريض قادراً على الصوم أم لا إذ يعتمد ذلك على شدة المرض وكمية المدرات لبولية التي يحتاج إليها.

ج - الذبحة الصدرية : Angina Pectoris

تنجم الذبحة الصدرية عادة عن تضيق في الشرايين التاجية المغذِّية لعضلة القلب، وإذا كانت أعراض المريض مستقرة بتناول العلاج، ولا يشكو المريض من ألم صدري أمكنه الصيام في شهر رمضان، بعد أن يراجع طبيبه للتأكد من إمكانية تغيير مواعيد تعاطي الدواء.

أما مرضى الذبحة الصدرية غير المستقرة أو الذين يحتاجون لتناول حبوب النيتروغليسرين تحت اللسان أثناء النهار فلا ينصحون بالصوم، وينبغي عليهم مراجعة الطبيب لتحديد خطة العلاج.

د - جلطة القلب (احتشاء العضلة القلبية)

تنجم جلطة القلب عن انسداد في أحد شرايين القلب التاجية، وهذا ما يؤدي إلي تموت خلايا المنطقة المصابة من القلب، ولاينصح مرضى الجلطة الحديثة وخاصة في الأسابيع الستة الأولى بعد الجلطة بالصيام، أما إذا تماثل المريض للشفاء وعاد إلى حياته الطبيعية فيمكنه حينئذ الصيام شريطة تناوله الأدوية بانتظام.

هـ - أمراض صمامات (دسامات) القلب :

تنشأ أمراض صمامات القلب عادة عن إصابة هذه الصمامات بالحمى الرثوية (الحمى الروماتيزمية) في فترة الطفولة، فيحدث تضيق أو قلس (قصور) في الصمام نتيجة حدوث تليف في وريقات الصمام، وإذا كانت حالة المريض مستقرة، ولايشكو من أعراض تذكر أمكنه الصيام، أما إذا كان المريض يشكو من ضيق النفس ويحتاج إلى تناول المدرات البولية فينصح بعدم الصوم.

و - من هم مرضى القلب الذين ينصحون بعدم الصيام؟

١ - المرضى المصابون بفشل القلب (قصور القلب) غير المستقر.

٢ - مرضى الذبحة الصدرية غير المستقرة، أو غير المستجيبة للعلاج.

٣ - مرضى الجلطة القلبية الحديثة.

٤ - حالات التضيق الشديد أو القصور الشديد في صمامات القلب.

٥ - الحمى الرثوية (الروماتيزمية) النشطة.

٦ - الاضطرابات الخطيرة في نظم القلب.

٧ - خلال فترة الأسابيع الستة التي تعقب عمليات جراحة القلب.

(٣) مريض الكلى في شهر الصيام :

تقوم الكليتان بوظائف عديدة منها تنقية الدم من الفضلات الآزوتية، ومراقبة توازن الماء والشوارد في الدم، والحفاظ على توازن قلوي حامضي ثابت في الجسم. وإذا كانت الكليتان سليمتين فالصوم لهما راحة وعافية. أما عندما تصبح الكلى مريضة، فلا تستطيع القيام بالكفاءة المطلوبة لتركيز البول والتخلص من المواد السامة كالبولة الدموية Urea وغيرها.

ومن هنا يصبح الصيام عبئاً على المريض المصاب بالفشل الكلوي، وخصوصاً في المناطق الحارة مما قد يؤدي إلى إرتفاع نسبة البولة الدموية والكرياتنين في الدم، وينبغي على أي مريض مصاب بمرض كلوي استشارة طبيبه قبل البدء بالصيام، فإذا لم يتناول مريض الكلى كمية كافية من الماء فقد يصاب بالفشل الكلوي.

أ - الحالات الحادة من أمراض الكلى :

قد يحتاج المصاب بمرض كلوي حاد دخول المستشفى

وتلقي العلاج هناك، وفي هذه الحالة ينبغي عدم الصوم. من هذه الحالات التهاب الحويضة والكلية الحاد، والتهاب المثانة الحاد والقولنج الكلوي، والتهاب الكبب والكلية الحاد.

ب - الحصيات الكلوية :

إذا لم يكن لدى المرء حصيات كلوية من قبل فلا داعي للقلق في شهر رمضان، أما الذين لديهم حصيات كلوية، أو قصة تكرر حدوث حصيات في الكلى، فقد تزداد حالتهم سوءاً بالجفاف إذا لم يشرب المريض السائل بكميات كافية.

ويستحسن في مرضى الحصيات بالذات الامتناع عن الصيام في الأيام الشديدة الحرارة حيث تقل كمية البول بدرجة ملحوظة مما قد يساعد على زيادة حجم الحصيات، ويعود تقدير الحالة إلى الطبيب المختص، وعموماً ينصح مرضى الحصيات الكلوية بتناول كميات وافرة من السوائل وخاصة الماء عند السحور، مع تجنب التعرض للحر والمجهود المضني أثناء النهار.

جـ - التهاب الحويضة والكلية المزمن :

وقد تؤدي هذه الحالة بعد فترة من الزمن إلى حدوث الفشل الكلوي، ولهذا يستحسن عدم الصوم، فقد يزيد ذلك من

احتمال حدوث الفشل الكلوي، ويعود تقرير ذلك إلى الطبيب المعالج.

د - التهاب الكبب والكلى المزمن :

وفيه تصاب الكلى بخلل في وضائفها، وقد يؤدي ذلك إلى حدوث "التناذر الكلوي" وفيه يصاب المريض بوذمة (انتفاخ) في الساقين وبنقص في ألبومين الدم وظهور كميات كبيرة من البروتين في البول، وينصح هؤلاء المرضى بعدم الصوم وخاصة إذا كان المرض مصحوبا بالتناذر الكلوي وارتفاع ضغط الدم أو الفشل الكلوي.

هـ - الفشل الكلوي المزمن :

تمر بعض أمراض الكلى بمراحل قد تنتهي بما يسمى الفشل الكلوي المزمن، وذلك حينما يتخرب قسم كبير من أنسجة الكليتين، ويشكو المريض حينئذ من الإعياء والفواق وكثرة التبول، والتبوال الليلي والعطش، ويرتفع في تلك الحالة مستوى البولة الدموية والكرياتنين، وقد يزداد بوتاسيوم الدم. وينصح مرضى الفشل الكلوي المزمن بعدم الصوم، أما إذا كان المريض يتلقى الغسيل الكلوي فربما يستطيع الصوم في اليوم الذي

لايجري فيه غسيل الكلى ويفطر في يوم الغسيل الكلوي . . ومرة أخرى ينبغى على المريض استشارة طبيبه المختص في ذلك .

(٤) مريض السكري في شهر الصيام :

يقسم مرضى السكر إلى فئتين ، فئة تستطيع الصوم وأخرى تُمنع من الصوم .

أ - مريض السكري الذي يستطيع الصوم :

١ - مريض السكري الكهلي (سكري النضوج) الذي يعالج بالحمية الغذائية فقط .

٢ - مريض السكري الكهلي الذي يعالج بالحمية الغذائية والأقراص الخافضة لسكر الدم : وهذه الفئة تقسم بدورها إلى قسمين :

١ - المريض الذي يتناول حبة واحدة يومياً يستطيع الصيام عادة على أن يفطر بعد أذان المغرب مباشرة على تمرتين أو ثلاث تمرات مع كأس من الماء ، وبعد صلاة المغرب يتناول وجبة الدواء ثم يبدأ بالوجبة الرئيسية للإفطار .

٢ - الذي يتناول حبتين يومياً يستطيع الصوم عادة على أن

يتناول حبة واحدة قبل الإفطار ونصف حبة قبل السحور بدلاً من الحبة الكاملة التي كان يتناولها قبل شهر رمضان ، وهكذا لأكثر من حبتين يومياً بحيث يكون المبدأ إنقاص جرعة ما قبل السحور إلى النصف بناء على توصية طبيبه المعالج .

ب - مريض السكري الذي لايستطيع الصوم :

١ - مريض السكري الشبابي (المريض الذي يصاب بمرض السكري دون الثلاثين عاماً من العمر) .

٢ - مريض السكري الذي يحقن بكمية كبيرة من الإنسولين(أكثر من ٤٠ وحدة دولية يومياً)، أو الذين يتعاطون الإنسولين مرتين يومياً .

٣ - المريض المصاب بالسكري غير المستقر .

٤ - المريضة الحامل المصابة بالسكري .

٥ - المريض المسن المصاب بالسكري لسنين طويلة، وفي الوقت نفسه يعاني من مضاعفات مرض السكر المتقدمة .

٦ - المريض الذي أصيب بحماض ارتفاع السكر قبل شهر رمضان بأيام أو في بدايته .

وينبغي التأكيد على الحقائق التالية :

١ - يجب على المريض الذي يصاب بنوبات نقص السكر أو الارتفاع الشديد في سكر الدم أن يقطع صيامه فوراً، لأنه يضطر إلى علاج فوري.

٢ - ينبغي تقسيم الوجبات إلى ثلاثة أجزاء متساوية، الأولى عند الإفطار والثانية بعد صلاة التراويح والثالثة عند السحور.

٣ - يفضَّل تأجيل وجبة السحور قدر الامكان.

٤ - الحذر من الافراط في الطعام وخاصة الحلويات أو السوائل المحلاّه.

وبصفة عامة فإن السماح بالصيام أو عدمه إضافة إلى تنظيم الدواء وأوقات تناولها يعود إلى الطبيب المعالج دون غيره.

(٥) مريض الصدر في شهر الصيام :

كثيراً ما تأتي أمراض الصدر فجأة على شكل التهاب في القصبات أو التهاب في الرئة.

أ - التهاب القصبات الحاد :

إذا كانت حالة التهاب القصبات الحاد بسيطة، فإن المريض يستطيع تناول علاجه ما بين الإفطار والسحور، أما إذا احتاج

الأمر لمضادات حيوية تعطى كل ٦ - ٨ ساعات أو إذا كانت الحالة شديدة فينصح بالإفطار حتى يشفى من الإلتهاب.

ب - التهاب القصبات المزمن :

وفيه يشكو المريض من سعال مترافق ببلغم يومياً ولمدة ثلاثة أشهر متتابعة ولسنتين متتابعتين على الأقل. وإذا كانت حالة المريض مستقرة استطاع الصيام دون مشقة تذكر. أما في الحالات الحادة التي تحتاج الى مضادات حيوية أو موسعات القصبات أو البخاخات الحاوية على مواد موسعة للقصبات فيقدّر الطبيب المختص ما إذا كان المريض يستطيع الصوم أم لا .

جـ - الربـــو القصبي :

قد تكون نوبات الربو خفيفة لا تحتاج إلى تناول أدوية عن طريق الفم. كما يمكن إعطاء المريض الأقراص المديدة التأثير عند الإفطار والسحور. وكثير من مرضى الربو من يحتاج إلى تناول بختين أو أكثر من بخاخ الربو عند الإحساس بضيق في الصدر. ويعود بعدها المريض إلى ممارسة حياته اليومية بشكل طبيعي. ولا ينبغي للمريض عند حدوث الأزمة متابعة الصيام بل عليه تناول البخاخ فوراً. ومن العلماء الأفاضل من أفتى بأن هذه البخاخات لا تفطر. ولكن ينبغي الإفطار قطعاً عند حدوث نوبة ربو شديدة حيث كثيراً ما يحتاج المريض إلى دخول المستشفى لتلقي العلاج

المكثف لها، كما ينبغي الإفطار إذا ما أصيب المريض بنوبة ربو لم تستجب للعلاج المعتاد، ويجب التنبيه إلى أن الإنقطاع عن الطعام والشراب في تلك الحالات يقلل بشكل واضح من سيولة الافرازات الصدرية وبالتالي يصعب إخراجها.

د - السل (التدرن الرئوي) :

يستطيع المريض المصاب بالسل الصيام إذا كانت حالته العامة جيدة في غياب أية مضاعفات ، شريطة أن يتناول المريض دواءه بانتظام، وتعطى أدوية السل عادة مرة واحدة أو مرتين في اليوم، أما في المرحلة الحادة من المرض فيستحسن عدم الصيام حتى يتحسن وضع المريض العام.

(٦) أمراض الغدد في شهر الصيام :

الغدد الصماء هي مجموعة من الأعضاء في جسم الانسان تختص بإفراز الهرمونات وأهم هذه الغدد : الغدة النخامية، والغدة الدرقية، والغدة الكظرية ومجاورات الدرق، والمبيضان والخصيتان والبنكرياس.

أ - أمراض الغدة الدرقية :

١ - فرط نشاط الغدة الدرقية : وينجم عن إفراز كميات زائدة من هرمون الثيروكسين، ويشكو المريض عادة من تضخم

في الغدة الدرقية (في أسفل الرقبة) ونقص في الوزن ورجفان وخفقان، وإذا كانت حالة المريض مستقرة، أمكنه الصوم، شريطة تناول الأدوية بانتظام.

٢ - قصور الغدة الدرقية : ويشكو المريض في هذه الحالة من الوهن والإعياء الشديد ونقص في النشاط الفكري والعصبي. ويعطى هرمون الثيروكسين مرة واحدة يومياً كعلاج لهذه الحالة، وبذلك يمكن للمريض الصيام دون أي تأثير خاص.

٣ - أورام الغدة الدرقية : ليس للصوم تأثير يذكر على أورام الغدة الدرقية. ويمكن للمريض الصيام وعلاج أورام الدرق عادة جراحي.

٤ - التهابات الغدة الدرقية الحادة : تسبب عادة ألماً في الغدة وقد تحدث الحمى، مما قد يجعل الصوم غير ممكن في المرحلة الحادة، شأنه في ذلك شأن الأمراض الحادة أما الالتهابات المزمنة للغدة الدرقية فلا تتعارض عادة مع الصوم.

ب - أمراض الغدة الكظرية : الكظران غدتان تقعان فوق الكليتين وتفرزان عدة هرمونات أهمها الكورتيزول والالدوسترون والهرمونات التناسلية.

وأمراضها عادة غير شائعة وأهمها :

١ - **مرض كوشينغ** : وفيه يحدث وهن في الجسم،

ارتفاع ضغط الدم، وبدانة مركزية تتجنب الأطراف وتدوّرٌ في الوجه، كما قد يحدث فيه مرض السكر، ولاينصح فيه بالصوم.

٢ - **مرض اديسون** : يحدث فيه قصور في إفراز الكورتيزول نتيجة تلف في الغدة الكظرية، ويحدث فيه انخفاض في ضغط الدم ووهن شديد وتغير في لون البشرة يميل الى السواد. . الخ. وينبغي فيه تجنب الصوم خصوصاً وأنه قد يصاحبه هبوط سكر الدم، وهبوط في ضغط الدم.

٣ - **الورم القتامي** : وهو مرض نادر يسبب ارتفاعاً متأرجحاً في ضغط الدم ونوبات من التعرق والخفقان والوهن العام، وينصح فيه بتجنب الصوم والاستئصال الجراحي لهذا الورم، يتلوه عادة شفاء تام مما يجعل الصوم ممكناً.

جـ - أمراض الغدة النخامية : وهي أيضاً أمراض نادرة وأهمها مرض "ضخامة النهايات" وقصور الغدة النخامية وينصح فيهما بعدم الصوم.

(٧) الأمراض العصبية والنفسية في شهر الصيام :

أ - **الصرع** : يستطيع المصاب بالصرع أو الاختلاجات الصيام شريطة أن يتناول الأدوية المضادة للاختلاج بانتظام، فهناك حالياً أدوية تعطى مرة واحدة باليوم للسيطرة على

الاختلاجات.

ب - **الاكتئاب** : يستطيع مريض الاكتئاب الصيام شريطة أن يتناول الأدوية المضادة للاكتئاب بانتظام، وتعطى هذه الأدوية عادة مرة أو مرتين في اليوم.

جـ - **مريض الفصام** : لايجوز لمريض الفصام الصيام، فإن التوقف عن استعمال أدوية الفصام قد يؤدي إلى نوبات من العنف والضلالات الخاطئة والهلاوس، وقد يؤدي ذلك إلى الإعتداء على الآخرين، وفي الحالات المستقرة يمكن الصيام ويستمر المريض في أخذ الدواء بالليل حيث يمكن أخذه في جرعة واحدة أو جرعتين.

(٨) الحامل والمرضع في شهر الصيام :

أوضحت الدراسات العلمية الحديثة أن صيام رمضان يؤدي إلى تغيرات فسيولوجية وكيميائية عند الحامل، ولكنها لا تؤثر على الحامل السليمة البدن والتي لا تشكو من أية أمراض عضوية، ومع ذلك لايمكن إطلاق قول حاسم على كل الحوامل والمرضعات بحيث نقول إن هناك حامل أو مرضع تستطيع الصيام، وأخرى لاتقدر عليه. وإذا ما شعرت الحامل والمرضع

بصداع شديد، أو " زغللة " في العينين، أو هبوط وإجهاد عام أو عدم القدرة على القيام بأي نشاط فإن ذلك يعني حدوث انخفاض واضح في سكر الدم أو أن هناك أمراً غير طبيعي وعليها استشارة الطبيب المعالج.

أ - ماهي الأحوال المرضية التي تجيز للحامل الافطار؟

١ - انخفاض ضغط الدم الإنقباضي (الرقم الأعلى) عن ١٠٠ ملم زئبقي حيث قد يسبب هذا الإنخفاض إحساسا بالإغماء إضافة إلى عدم القدرة على التركيز.

٢ - القيء المصاحب للحمل وخاصة خلال الأشهر الثلاثة الأولى من الحمل.

٣ - التسمم الحملي : حيث يحدث ارتفاع في ضغط الدم ويظهر الزلال في البول كما تحدث وذمة في الأطراف.

٤ - حدوث انخفاض في سكرالدم.

٥ - وجود مرض عضوي. وذلك تحت اشراف الطبيب المعالج.

والخلاصة فإن موضوع صيام الحامل في شهر رمضان يعتمد على حالة الحامل والجنين قبل دخول شهر رمضان، فإن كانت كافة المؤشرات والفحص السريري تشير إلى تمام صحة

الحامل والجنين فإن الطبيب على الأغلب سيشير بالإستمرار في الصيام، ويعود تقرير ذلك إلى الطبيبة أوالطبيب الاخصائي المسلم.

(٩) الرضاعة والصيام :

يمكن للمرأة المرضع صيام شهر رمضان شريطة أن يكون هناك تعويض في نوعية الطعام والشراب أثناء شهر رمضان في الفترة المسائية، وشريطة أن لا تتأثر كمية ونوعية الحليب (اللبن) عند الطفل المرضع، أما إذا خافت المرضع على نفسها أو رضيعها من جرّاء الصيام أو أثّر ذلك على الرضاعة جاز لها أن تفطر.

والخلاصة فإن تقرير إمكانية الصيام أو عدمه ليس بالأمر السهل، ولايمكن تقرير قواعد عامة لجميع المرضى، بل ينبغي بحث كل مريض على حدة، ولايتيسَّر ذلك الأمر إلا للطبيب المسلم المختص، فهو يملك ما يكفيه من المعطيات التي تمكنه من نصح مريضه بإمكانية الصوم أو عدمه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

التداوي والمفطرات [1]

مع إطلالة كل رمضان تكثر الأسئلة حول قضية المفطرات. وتزدحم الصحف والمجلات بالأسئلة حول ما يفطر ومالا يفطر من دواء أو علاج. ولاشك أن هذا الموضوع يمس الكثير من المسلمين، فقد يكون أحدهم مريضاً أو قريباً لمريض. وقد كثرت الآراء حول قضية التداوي والمفطرات، وحار كثير من المرضى فيما يأخذون من آراء، ولهذا فقد عقد المجمع الفقهي الإسلامي - جزى الله المسئولين عنه وأعضاءه العاملين خير الجزاء - العزم على بحث موضوع المفطرات والخروج منه بتوصيات محددة تزيل كل إشكال أو إلتباس.

وكما يقول فضيلة الشيخ (يوسف القرضاوي) " فلقد

(١) بحث للدكتور حسان شمسي باشا مقدم لمجمع الفقه الاسلامي في دورته العاشرة (١٤١٨هـ).

توسع الفقهاء رضي الله عنهم في أمر المفطرات توسعاً ما أظنه خطر ببال أحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الذين شاهدوا التنزيل، وفهموا عن الله ورسوله فأحسنوا الفهم والتزموا فاحسنوا الالتزام".

تقرأ في كتب الحنفية فتجد ما يقرب من ستين مفطراً من المفطرات، ومثل ذلك أو قريب منه في المذاهب الأخرى وملأوا مساحات واسعة من كتب الفقه، وشغلوا مثلها من تفكير المسلمين واهتماماتهم بحيث اصبحت معرفة هذه المفطرات الكثيرة الغزيرة الشغل الشاغل للصائمين ولأهل الفتوى في كل رمضان، وازدحمت المجلات والصحف والإذاعات والمساجد بالأسئلة والأجوبة حول المفطرات. وبها بَعُدَ الدين عن يُسره وفطريته وأصبح شيئاً معقداً يحتاج إلى دراسة مطولة لكل عبادة من العبادات حتى يعرف مداخلها ومخارجها وأركانها وشروطها. والواقع أن جلَّ ما يقال في هذا المجال مما لم يدل عليه محكم قرآن ولا صحيح سنة، ولا اجماع أمة إنما هي اجتهادات يُؤخذ منها ويترك، وآراء بشر، ويجب أن تحاكم وترد إلى النصوص الأصلية والقواعد المرعية والمقاصد الكلية.[1]

(١) "فقه الصيام" د. يوسف القرضاوي طبعة مؤسسة الرسالة ١٩٩٠م. ص ٩٣-٩٤.

ولابد في البداية من تعريف المقصود بالصوم الشرعي وماهي المفطرات في مجال التشخيص والتداوي والعلاج.

الصوم الشرعي :

الصوم الشرعي هو إمساك وإمتناع إرادي عن الطعام والشراب ومباشرة النساء وما في حكمها خلال يوم كامل : أي من تبين الفجر إلى غروب الشمس، بنية الامتثال والتقرب إلى الله تبارك وتعالى. والدليل على أن الصيام الشرعي هو الامساك عن الشهوتين قوله تعالى في بيان أحكام الصيام في سورة البقرة ﴿ أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم، هن لباس لكم وأنتم لباس لهن علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم، فالآن باشروهن وابتغوا ماكتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام إلى الليل ﴾ [البقرة ١٨٧]

يؤكد ذلك من الحديث الصحيح قوله ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل " كل عمل ابن ادم له . قال تعالى : ﴿ إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به يدع طعامه وشهوته من أجلي ﴾[1]

(١) متفق عليه.

وفي بعض روايات الحديث : " يدع طعامه من أجلي، ويدع شرابه من أجلي ويدع شهوته من أجلي ويدع زوجته من أجلي "[1]

" ويتضح من هذه النصوص أن هذه الأشياء الثلاثة المحددة هي التي منع منها الصائمون ويدخل في حكم الأكل والشرب كل ما يتناول قصداً بالفم، ويصل إلى المعدة وإن لم يكن مشتهى ولا متلذذاً به مثل الأدوية التي تتناول بالفم شرباً أو إمتصاصاً أو إبتلاعاً، وهذا أمر مجمع عليه وإذا كان المسلم في حاجة حقيقية إلى شيء من هذه الأدوية فهو مريض يسعه أن يفطر بإذن الشارع نفسه ولا حرج عليه ولا جناح.

والمراد بما في حكم الطعام والشراب : الشهوات التي اعتادها بعض الناس إن لك تكن طعاماً أو شراباً مثل التدخين الذي يراه المبتلون به أهم من الأكل والشرب، فهو ممنوع في الصوم سواء عن طريق السيجارة أو الشيشة أو المضغ أو النشوق أو غيرها وهذا بإجماع علماء المسلمين في أقطار الأرض لأنه من أشد الشهوات التي يجب فطام الأنفس عنها في الصيام. واشد منه وابلغ في المنع تناول المخدرات المحرمة اشد التحريم مثل

(١) رواه ابن خزيمة في صحيحه.

الحشيش والأفيون والهيروين والكوكايين ونحوه وان اخذت بطريق الشم أو الحقن أو أي طريق كان" .[1]

وفي اعتقادي أنه يجب استبعاد التدخين من موضوع التداوي منذ البداية لأن التدخين ليس دواء بل إنه الداء بعينه ولا ينبغي أن ينطبق عليه أي حكم من أحكام المداواة والمفطرات.

وقال ابن حزم: "لاينقض الصوم حقنة[1] ولاسعوط (نشوق) ولا تقطير في اذن أو في إحليل أو في أنف ولا استنشاق وإن بلغ الحلق ولا مضمضة دخلت الحلق من غير تعمد ولا كحل وإن بلغ إلى الحلق نهاراً أو ليلاً بعقاقير أو غيرها ولا غبار طحن، أو غربلة دقيق أو حناء أو عطر أو حنظل، أو أي شيء كان ولا ذباب دخل الحلق بغلبة" الخ. .[2]

واستدل ابن حزم لما ذهب اليه فقال: "إنما نهانا الله في الصوم عن الأكل والشرب والجماع وتعمد القيء والمعاصي. وماعلمنا أكلاً ولا شراباً يكون في دبر أو إحليل أو أذن أو عين أو أنف أو من جرح في البطن أو الرأس وما نهينا قط عن أن نوصل إلى الجوف بغير الأكل والشرب - ما لم يحرم علينا إيصاله.[3]

(١) فقه الصيام للدكتور يوسف القرضاوي.

(٢) يعنون بها الحقنة الشرجية إذ أن الحقن العرقية والجلدية لم تكن معروفة في عهدهم.

(٣) المحلى لابن حزم (ج٦، ص ٣٠٠-٣٠١.

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية في الكحل والحقنة والتقطير في الاحليل ووصول الداء الى الجوف عن طريق الجراحة . . . إلخ : " الأظهر أنه لا يفطر بشيء من ذلك فإن الصيام من دين الاسلام الذي يحتاج إلى معرفته الخاص والعام، فلو كانت هذه الأمور مما حرمها الله ورسوله في الصيام ويفسد الصوم بها لكان هذا مما يجب على الرسول بيانه، ولو ذكر ذلك لعلمه الصحابة وبلغوه الامة كما بلغوا سائر شرعه فلما لم ينقل أحد من أهل العلم عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك حديثاً صحيحاً لا ضعيفاً ولا مسنداً ولا مرسلاً علم أنه لم يذكر شيئاً من ذلك والله أعلم . "[1]

وقد وافق هذا الرأي الشيخ "محمود شلتوت " فقال : " وإذا كان من محظور الصوم الأكل والشرب - وحقيقتها دخول شيء من الحلق إلى المعدة، والمعدة هي محل الطعام والشراب من الإنسان - كان من المبطل للصوم ما دخل فيها بخصوصها، سواء أكان مغذياً أم غير مغذ، ولابد أن يكون من المنفذ المعتاد. ومن أجل هذا فما دخل في الجوف ولكن لم يصل إليها لا يفسد الصوم" .[2]

(١) فقه الصيام، الدكتور يوسف القرضاوي. ص٩٨ .
(٢) الفتاوى للشيخ محمود شلتوت ، ص ١٣٦ .

ولابد أن نبدأ بتعريف الجوف المقصود بأحكام الصيام :

ماهو الجوف؟

الجوف لغة : كل شيء مجوف . جاء في الصحاح : " جوف الانسان بطنه ، والأجوفان : البطن والفرج ، والجائفة الطعنة التي تبلغ الجوف ، وقد جاء في الحديث الشريف : " لاتنسوا الجوف وماوعى " أي مايدخل إليه من الطعام والشراب ويجمع فيه " .

والحقيقة أنه لم يرد في القرآن الكريم ولا في السنة المطهرة أي نص على الجوف في موضوع الصيام .

ولكن المتقدمين من الفقهاء - جزاهم الله خيراً - وقعوا في التباس عندما فسروا " الجوف " بأنه كل ما يسمى جوفا ، وإن لم يكن مكان الطعام والشراب ، فاعتبروا الدماغ جوفاً وليس هو مكان طعام ولا شراب ، وأن من كان برأسه مأمومة (إصابة بالدماغ) فوضع عليها دواء فوصل خريطة الدماغ أفطر . . وأعتبروا الاحليل جوفاً وماهو بموضع طعام ولا شراب ولا علاقة له بالجهاز الهضمي ، وكذلك اعتبروا المهبل جوفاً والمثانة جوفاً وهكذا . والفقهاء معذورون في ذلك فربما كان بعض ذلك

ناجماً عن عدم درايتهم بتشريح الجسم في ذلك الحين.

أمـا الآن فليس هناك أدنى شك في أن الدمـاغ لا يرتبط بالجهاز الهضمي، وأن المثانة والإحليل لا علاقة لها بالجهاز الهضمي، وأن المهبل والرحم منفصلان كلياً عن جهاز الهضم، وعليه فإن ماذكره الفقهاء من أن المأمومة ومداواتها أو إدخال شيء في الإحليل أو المثانة يفطر لا أساس له من الصحة.

والذي أراه هو أن الجهاز الهضمي هو الجوف المقصود في الصيام فهو موضع الطعام والشراب وكل مايدخل إلى الجهاز الهضمي متجاوزاً الفم والبلعوم يكون سبباً للإفطار ومفسداً للصيام.

ماهي أجزاء البلعوم :

من المهم تحديد البلعوم (وهو ما يسميه الفقهاء بالحلق) وأجزائه، فهو الطريق الواصل إلى المريء ومن ثم إلى المعدة والأمعاء. والبلعوم هو جزء من القناة الهضمية يلي تجويف الفم، وهو ينقسم إلى ثلاثة أجزاء:

الجزء العلوي : وهو ما يسمى بالبلعوم الأنفي Nasopharynx وفيه تصب إفرازات الأنف والجيوب الأنفية

ومايوضع في الأنف من دواء أو بخاخ كما تصل إليه الدموع من العين والقطرات التي توضع في العين.

الجزء الأوسط : وهو مايسمى بالبلعوم الفمي (Oropharynx) وعن طريقه يتم ابتلاع الطعام والشراب والدواء وفيه تقع اللهاة واللوزتان.

الجزء السفلي : وهو ما يسمى بالبلعوم الحنجري : وفيه تقع فتحة الحنجرة والحبال الصوتية.

مايدخل الجهاز الهضمي عن طريق الدبر :

ولكن السؤال الذي يطرح الآن : هل يعتبر الجوف هو الجهاز الهضمي كله بعد أن يتجاوز الفم؟ أم هو الجزء المحيل للطعام؟ (الذي يقوم بهضم الطعام) أي يقتصر على البلعوم والمريء والمعدة والأمعاء الدقيقة. فالأمعاء الغليظة (القولون) لاتحيل الطعام ولا تهضمه ولكنها تقوم بامتصاص الماء فقط مما يتخلف عن الطعام المهضوم.

فهل الحقنة الشرجية أو اللبوسات (التحاميل، الفرزجات) تفطر أم لا؟ فعلى الرغم من إمكانية امتصاص شيء من الماء من الحقنة الشرجية إن مكثت طويلاً في القولون ولكن ذلك لا يغني

عن طعام ولاشراب، أما اللبوسات (التحاميل) الشرجية أو المراهم الشرجية فليس فيها مايغتذى بها ولا تدخل من موضع الطعام أو الشراب، وبالتالي فأرى أنها لاتفطر.

ما يدخل إلى التجويف البطني :

والجائفة هي الطعنة التي تصل إلى التجويف البطني، فإن وصلت إلى المعدة أو الأمعاء الدقيقة ونفذ الدواء من موضعها إلى المعدة أو الأمعاء فلا شك أنها تسبب الإفطار، لأنها وصلت إلى الجهاز الهضمي الذي يهضم الطعام، أما إذا لم تصل إلى المعدة أو الأمعاء الدقيقة فليست سبباً للافطار، وعليه فإن منظار البطن (Laproscope) الذي يدخل إلى التجويف البطني عبر فتحة صغيرة في جدار البطن لايصل إلى المعدة أو الأمعاء وإنما ينظر في تجويف البطن والأحشاء والذي تجرى حالياً بواسطته العديد من العمليات الجراحية كاستئصال المرارة والزائدة وغيرها من العمليات، لا يعتبر بذاته سبباً للإفطار إلا إذا ترافق ذلك بإعطاء المريض السوائل المغذية بالوريد، أما خزعة الكبد أو الكلية أو المبايض وغيرها فلا تكون سبباً للإفطار إذلا علاقة لها بمدخل الطعام أو الشراب.

مناظير الجهاز الهضمي :

مناظير الجهاز الهضمي نوعان :

الأول : وهو "منظار المعـــدة" ويدخل عن طريق الفم فالبلعوم فالمريء فالمعدة والآخر هو "منظار المستقيم والقولون" ويدخل عن طريق الدبر.

وهذان المنظاران يدخلان إلى الجهاز الهضمي للتشخيص كما في أكثر الحالات وقد تؤخذ فيها خزعات من المعدة أو المستقيم مما قد يسبب نزفاً بسيطاً مكان الخزعة ، كما قد تحقن عبره السوائل.

وقد يدخل منظار المعدة للعلاج في بعض الحالات كحقن دوالي المريء بمادة مصلبة لايقاف النزف منها مثلا ، كما قد يدخل منظار القولون لاستئصال مرجلات (Polyps) وهي نتوءات لحمية في القولون.

الذي أراه أن منظار المعدة ينطبق عليه ما ينطبق على دخول القسم العلوي من الجهاز الهضمي وبالتالي فهو سبب للافطار، أما منظار المستقيم والقولون فينطبق عليه حكم ما يدخل عن طريق الدبر.

مايجعل في الاحليل أو المثانة من دواء وغيره :

المثانة عضو كيسي يتجمع فيه البول الذي تفرزه الكليتان، وتتصل المثانة من الأسفل بقناة مجرى البول التي تسمى بالاحليل، ورغم أن المثانة عضو أجوف إلا أنه لا علاقة لها بالجهاز الهضمي وليست هي مدخلاً للطعام أو الشراب وعليه فإن إدخال أي دواء أو قثطار أو منظار عبر الإحليل إلى المثانة والتقطير في الإحليل، كل ذلك لا يعتبر من مفسدات الصيام.

مايجعل في المهبل أو الرحم :

ليست هناك أي علاقة بين المهبل والرحم وبين الجهاز الهضمي وبالتالي فإن إدخال الأصبع أثناء الفحص الطبي أو المنظار المهبلي أو اللبوسات (التحاميل أو الفرزجات) في المهبل لا علاقة له بجهاز الهضم أو موضع الطعام والشراب، ولكن يبقى القول فيما إذا كان ذلك يقاس على أن المهبل مكان الجماع أم لا موضع نقاش، كما أن إدخال منظار الرحم أو اللولب إلى الرحم، يتبع الحكم السابق باعتبار أن ذلك يمر عبر المهبل.

مايدخل الدماغ :

ذكرنا أن الدماغ لا علاقة له بالجهاز الهضمي وبالتالي فإن

ما يدخل إلى الدماغ من جرح (وهو مايسميه الفقهاء بالمأمومة) لا يصل شيء منه إلى البلعوم أو الأنف مهما وضع فيه دواء أو غيره، وبالتالي فالمأمومة لاتعتبر سبباً لإفساد الصيام. ولايصل "السائل الدماغي الشوكي" الذي يسيل حول النخاع الشوكي إلى الأنف والبلعوم الفمي إلا في حالة وجود كسر في قاعدة الجمجمة، وهذه الحالة بالأصل حالة خطيرة تحتاج إلى دخول المستشفى وغالباً في قسم العناية المركزة، وقد يحتاج المريض إلى إجراء عملية جراحية، كما يعطى عادة سوائل مغذية بالوريد، وبالتالي فهي حالة تستدعي الإفطار أصلاً كما تعتبر سبباً لافساد الصيام، أما الإفرازات التي كان القدماء يظنونها آتية من الدماغ فما هي إلا إفرازات من الجيوب الأنفية لا علاقة لها بالدماغ.

مايجعل في الأذن من دواء ونحوه :

تنقسم الأذن إلى ثلاثة أجزاء : الأذن الخارجية والوسطى والداخلية.

ويفصل الأذن الخارجية عن الوسطى غشاء الطبل (طبلة الأذن)، وتتصل الأذن الوسطى بالبلعوم عن طريق قناة ضيقة تسمى "قناة استاكيوس" وهذه القناة تمرر الهواء عادة لتحافظ على توازن الضغط داخل الأذن، ولايمكن لأي سائل أو قطرة

توضع في الأذن الخارجية الوصول إلى البلعوم ما لم يكن غشاء الطبل مثقوباً، ولهذا فان نبش الأذن أو إدخال عود أو وضع قطرة من الدواء أو سائل ما في الأذن وغشاء الطبل غير مثقوب لا يعتبر مفسداً للصيام، أما إذا كان غشاء الطبل مثقوباً فيمكن لقطرة الأذن الوصول إلى البلعوم رغم أن الكمية التي ستصل إلى البلعوم ضئيلة جداً.

مايدخل إلى العين :

تنفتح القناة الدمعية التي تخرج من جوف العين على الأنف عبر فتحة فيه، وبالتالي فإن وضع قطره في العين تصل إلى الأنف ومنه إلى البلعوم، ولابد هنا من توضيح بعض النقاط : فجوف العين لايتسع لأكثر من قطرة واحدة فقط وكل ما زاد عن ذلك تلفظه العين إلى الخارج فيسيل على الخد، ومن المعروف أن أطباء العين يصفون وضع قطرة أو قطرتين في العين كل ٤ -٦ ساعات مثلا.

ولكي نتمثل كمية هذه القطرة الواحدة لابد أن نذكّر بأن الميلي ليتر الواحد يحتوي على ١٥ قطرة وأن ملعقة الشاي الصغيرة تحتوي على ٥ ميلي ليتر من السائل ، وعليه فإن القطرة الواحدة التي توضع في العين تبلغ جزءاً من ٧٥ جزءاً مما تحتويه

ملعقة الشاي الصغيرة من السائل، وهذه تعتبر كمية ضئيلة جداً، وهي بلا شك أقل بكثير مما يتبقى في الفم بعد المضمضة أو مما يدخل في الأنف أثناء الاستنشاق.

وقد أقر الفقهاء المضمضة أثناء الصيام ولو كانت للتبرد، ولا بأس بالاستنشاق ما لم يبالغ، فقد نهى الرسول عليه الصلاة والسلام عن المبالغة في الاستنشاق، وينبغي أن نتذكر أيضاً أن المسواك يحتوي على ثمان مواد كيميائية تقي الأسنان واللثة مما قد يعتريها من أمراض، وهذه المواد تنحل باللعاب وبالتالي تدخل الى البلعوم، وقد جاء في صحيح البخاري عن عمر بن ربيعة قال: " رأيت النبي ﷺ يستاك وهو صائم ما لا أحصي ولا أعدّ ".

والحقيقة أن كمية قطرة العين التي تعارف عليها الأطباء كمية زهيدة جداً وما يتذوق من طعمها المر فإنما يتذوق في مؤخرة اللسان حيث أن الحليمات الذوقية موجودة في اللسان فقط. وفي ظني أن قطرة العين لاتفسد الصيام والله أعلم.

مايدخل عبر الأنف والمجاري التنفسية :

ذكرنا أن الأنف يتصل في نهايته بالبلعوم الأنفي، وأن ما يدخل عبر الأنف أو الجيوب الأنفية يمكن أن يصل إلى البلعوم الأنفي.

فما حكم البخاخ الذي يستعمل في مرض الربو؟

لابد هنا من إيضاح ما يحتويه هذا البخاخ وطريقة استعماله، فبخاخ الربو يحتوي على دواء سائل (فيه ماء ومواد كيميائية عالقة)، ويتم استعماله بأخذ شهيق عميق ويضغط عليه في الوقت ذاته. وعندئذ يتطاير الرذاذ ويدخل عن طريق الفم إلى البلعوم الفمي، ومنه إلى الرغامي فالقصبات الهوائية، ولكن يبقى جزء منه في البلعوم الفمي وقد تدخل كمية ضئيلة جداً إلى المريء. وتحتوي عبوة بخاخ الربو على حوالي ١٠ ميلي ليتر من السائل بما فيه من المادة الدوائية، وهذه الكمية مصممة على أن تنطلق على ٢٠٠ بخة (أي أن الـ ١٠ ميلي ليتر تنتج ٢٠٠ بخة)، وهذا معناه أنه في كل بخة يخرج جزء من ٢٠ جزء من الميلي ليتر الواحد، وبمعنى آخر فإن البخة الواحدة تشكل أقل من قطرة واحدة، وهذه القطرة الواحدة ستقسم إلى أجزاء يدخل الجزء الأكبر منه إلى جهاز التنفس وجزء آخر يترسب على جدار البلعوم الفمي، فكم يتبقى من تلك القطره للوصول إلى الجوف (الجهاز الهضمي)؟ وقد يكون ما يدخل من قطرات عقب الاستنشاق أو المضمضة أكثر من ذلك بكثير.

أما الأوكسجين الذي يعطى لبعض المرضى فهو هواء ولا

يحتوي على مواد عالقه أو مغذية، ويذهب معظمه إلى الجهاز التنفسي وليس هو سبباً للافطار.

وأما التخدير العام (التخدير الكلي): فيشتمل استنشاق غازات مثل الاثير وغيره، كما يتم فيه عادة إعطاء حقنة في الوريد من مادة دوائية سريعة التأثير تنوم المريض بسرعة ثم يدخل انبوب خاص مباشرة إلى الرغامى عبر الأنف أو الفم ويوصل هذا الأنبوب إلى جهاز التنفس الاصطناعي ويتم عن طريقه إعطاء الغازات التي تؤدي الى تخدير المريض خلال فترة العملية الجراحية، وهذه الغازات لا علاقة لها بالجهاز الهضمي وبالتالي لاتفسد الصوم بذاتها، ولكن تبقى هناك أربع نقاط :

الأولى : وهي موضوع إعطاء السوائل المغذية بالوريد والتي يرى كثير من الفقهاء أنها تسبب الافطار.

الثانية : مدة الإغماء وفقدان الوعي.

والثالثة : أنه قد يدخل أحياناً أنبوب إلى المعدة لاستخراج السوائل المتراكمة فيها.

والرابعة : أن المريض قد يتقيأ بعد العملية من أثر التخدير.

وعليه فإن التخدير العام قد لا يخلو من أحد الأمور التي تفسد الصوم وبالتالي أرى أن التخدير العام سبب للافطار.

الغسيل الكلوي :

يتم غسيل الكلى عادة بطريقتين :

الأولى : يتم بواسطة آلة خاصة تسمى " الكلية الاصطناعية " وفيها يسحب الدم إلى هذا الجهاز حيث تتم تصفيته من البوله الدموية والمواد المؤذية الأخرى، ومن ثم يعاد إلى الجسم عن طريق الوريد. وهناك عدة أنواع من جهاز الكلية الاصطناعية لا مجال لبحثها في هذه الخلاصة. ولكن الأمر الهام هنا هو أن المريض قد يحتاج إلى سوائل مغذية تعطي عن طريق الوريد. وعليه فالذي آراه أن الغسيل الكلوي عن طريق الكلية الاصطناعية مفسد للصوم. والطريقة الأخرى لغسل الكلية تتم عن طريق الغشاء البريتواني في البطن حيث يدخل أنبوب عبر فتحة صغيرة يحدثها الطبيب في جدار البطن فوق السرة. ومن ثم يدخل عادة ليتران من السوائل التي تحتوي على نسبة عالية من سكر الغلوكوز إلى داخل جوف البطن وتبقى هناك لفترة ثم تسحب مرة أخرى. وتكرر هذه العملية مرات عديدة في اليوم الواحد. ويتم أثناء ذلك تبادل الشوارد، والسكر والأملاح الموجودة في الدم عبر البريتوان. ومن الثابت علمياً أن كمية من سكر الغلوكوز الموجودة في السائل الذي يوضع في داخل جوف

البطن تدخل إلى دم الصائم عبر الغشاء البريتواني وهذه برأيي في حكم السوائل المغذية، وبالتالي أرى أن هذا النوع أيضاً من غسيل الكلى مفسد للصوم.

مايتعلق بالأوردة والعضلات :

يرى كثير من الفقهاء أن الفصد لايفسد الصوم وبالتالي فإن سحب الدم لاجراء الفحوص المخبرية أو لإسعاف مريض به لا يفسد الصوم. أما إذا سبب الضعف للصائم أصبح مكروهاً. وقد اختلف الفقهاء في موضوع الحجامة.

وأما الحقن العضلية أو تلك التي تعطي تحت الجلد فلا تفسد الصوم سواء كانت للعلاج أو للتطعيم (اللقاحات). ولكن هناك نوعاً من الأبر تعطى في حالات التسممات الدوائية وهذه حكمها حكم من يتعمد الاقياء.

وأما نقل الدم : لاسعاف المريض فلا يفسد صومه، فلا علاقة له بالجهاز الهضمي. وأما الحقن بالوريد فإن كانت للعلاج ولا تحتوي على مغذ فلا تسبب الافطار. أما تلك التي تحتوي على مغذ " كالسيروم " فيمكن أن تغني عن الطعام والشراب، وبالتالي فهي سبب للافطار.

وأما ما يدخل الشرايين والأوردة من قثطار لإجراء تصوير شعاعي لتلك الشرايين أو الأوردة أو لإجراء القثطرة القلبية وما يتضمن ذلك من حقن مادة ملونة فليست سبباً للأفطار.

مايصل الجسم عن طريق الجلد :

لاشك أن الأدهان الجلدية والمروخات واللصقات الجلدية " مثل لصقة نيترودرم" التي تعطى للمصابين بالذبحة الصدرية " كلها تمتص عن طريق الجلد ولكن ذلك لا علاقة له بالجهاز الهضمي ولا تسبب افساد الصوم.

هذا ما رأيته بالنسبة لموضوع التداوي والمفطرات. فإن أصبت فالمنة لله وحده وإن زللت فمن نفسي والله الهادي إلى سواء السبيل.

****

قرارات الندوة الفقهية الطبية التاسعة

المنعقدة بالدار البيضاء - المغرب

٨ - ١١ صفر ١٤١٨هـ الموافق ١٤ - ١٧ يونيه ١٩٩٧

شارك في الندوة :

(١) المنظمة الاسلامية للعلوم الطبية بالكويت .

(٢) مجمع الفقه الاسلامي بجدة .

(٣) مؤسسة الحسن الثاني للأبحاث العلمية والطبية عن رمضان بالدار البيضاء .

(٤) منظمة الثقافة والعلوم الاسلامية (الايسسكو) بالرباط .

(٥) منظمة الصحة العالمية - المكتب الاقليمي بالاسكندرية .

المفطـــرات

المفطرات في كتاب الله عز وجل ، وفي السنة الصحيحة ثلاثة : هي الأكل والشرب والجماع ، فكل ما جاوز الحلق وكان ينطبق عليه اسم الأكل أو الشرب ، كماً وكيفاً ، يُعد مفطراً ، وبناء على ذلك اتفق المجتمعون على أن الأمور الآتية لا تعتبر من المفطرات :

١ - قطرة العين أو الأذن أو غسول الأذن .

٢ - قرص النيتروغلسيرين ونحوه الذي يوضع تحت اللسان لعلاج الذبحة الصدرية .

٣ - ما يدخل المهبل من فرازج أو بيوض دوائية مهبلية أو غسول أو منظار مهبلي أو إصبع طبيب ، أو قابلة فاحصة .

٤ - ما يدخل الإحليل - إحليل الذكر والأنثى - أي مجرى البول الظاهر ، من قثطرة أو منظار أو مادة ظليلة على الأشعة أو دواء أو محلول لغسل المثانة .

٥ - حفر السن أو قلع الضرس أو تنظيف الأسنان أو السواك وفرشاة الأسنان ، على أن يتجنب الابتلاع .

٦ - الحقن الجلدية أو العضلية أو الوريدية باستثناء السوائل الوريدية المغذية .

٧ - التبرع بالدم وتلقي الدم المنقول .

٨ - غاز الأكسجين وغازات التخدير .

٩ - ما يدخل الجسم امتصاصا من الجلد كالدهونات والمروخات واللصقات الجلدية المحملة بالمواد الدوائية أو الكيميائية .

١٠ - أخذ عينة من الدم للفحص المختبري .

١١ - إدخال قطرة في الشرايين لتصوير أوعية القلب أو غيره من الأعضاء.

١٢ - إدخال منظار من خلال جدار البطن لفحص الأحشاء أو إجراء عملية جراحية عليها.

١٣ - المضمضة والغرغرة وبخاخ العلاج الموضعي للفم على أن يتجنب الابتلاع.

١٤ - إدخال المنظار أو اللولب إلى الرحم.

١٥ - أخذ عينات (خزعات) من الكبد أو غيره من الأعضاء.

ورأت أكثرية المجتمعين أن الأمور الآتية لا تعتبر مفطرة :

١ - قطرة الأنف وبخاخ الأنف وبخاخ الربو.

٢ - ما يدخل الشرج من حقنة شرجية أو تحاميل (لبوس) أو منظار أو إصبع طبيب فاحص.

٣ - العمليات الجراحية بالتخدير العام إذا كان المريض قد بيت الصيام من الليل.

٤ - الحقن المستعملة في علاج الفشل الكلوي حقنا في الصفاق (الباريتون) أو بالكلية الاصطناعية.

٥ - منظار المعدة إذا لم يصاحبه إدخال سوائل أو مواد أخرى.

والندوة في ختام أعمالها لا يسعها إلا أن ترفع إلى مقام حضرة صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني ملك المملكة المغربية عظيم الشكر وجميل العرفان على رعايته لهذه الندوة المقامة على أرض المملكة المغربية، داعين لجلالته وولي عهده بالنصر والعزة ومزيد من الازدهار والتقدم لشعب المملكة المغربية كما تتوجه الندوة بالشكر لحكومة صاحب الجلالة والمسئولين على حسن الاستقبال وكرم الوفادة.

****

قرار مجمع الفقه الإسلامي بجدة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه .

قرار رقم ٩٩ / ١ / د ١٠
بشأن المفطرات في مجال التداوي

إن مجلس مجمع الفقه الإسلامي المنعقد في دورة مؤتمره العاشر بجدة بالمملكة العربية السعودية خلال الفترة من ٢٣ إلى ٢٨ صفر ١٤١٨هـ (الموافق ٢٨ يونيو - ٣ يوليو ١٩٩٧م).

بعد اطلاعه على البحوث المقدمة في موضوع المفطرات في مجال التداوي والدراسات والبحوث والتوصيات الصادرة عن الندوة الفقهية الطبية التاسعة التي عقدتها المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية، بالتعاون مع المجمع وجهات أخرى، في الدار البيضاء بالمملكة المغربية في الفترة من ٩ - ١٢ صفر ١٤١٨هـ الموافق ١٤ - ١٧ يونيو ١٩٩٧م، واستماعه للمناقشات التي دارت حول الموضوع بمشاركة الفقهاء والأطباء، والنظر في الأدلة

من الكتاب والسنة، وفي كلام الفقهاء.

قـــرر مايلي :

أولا : الأمور الآتية لاتعتبر من المفطرات :

١ - قطرة العين، أو قطرة الأذن، أو غـــسـول الأذن، أو قطرة الأنف، أو بخـاخ الأنف، إذا اجـتنب ابتـلاع مـا نفـذ إلى الحلق.

٢ - الأقـراص العـلاجيـة التي توضع تحت اللسـان لعـلاج الذبحة الصدرية وغيرها إذا اجتنب ابتلاع ما نفذ إلى الحلق.

٣ - ما يدخل المهبل من تحاميل (لبوس)، أو غسـول، أو منظار مهبلي، أو إصبع للفحص الطبي.

٤ - إدخال المنظار أو اللولب ونحوهما إلى الرحم.

٥ - مـا يدخل الإحليل، أي مـجرى البـول الظاهر للذكـر والأنثى، من قثطرة (أنبوب دقيق) أو منظار، أو مـادة ظليلة على الأشعة، أو دواء، أو محلول لغسل المثانة.

٦ - حفر السن، أو قلع الضرس، أو تنظيف الأسنان، أو السواك وفرشاه الأسنان، إذا اجتنب ابتلاع ما نفذ إلى الحلق.

٧ - المضـمضـة، والغرغـرة، وبخـاخ العلاج الموضعي للفم

إذا اجتنب ابتلاع ما نفذ إلى الحلق.

٨ - الحقن العلاجية الجلدية أو العضلية أو الوريدية، باستثناء السوائل والحقن المغذية.

٩ - غاز الاكسجين.

١٠ - غازات التخدير (البنج) ما لم يعط المريض سوائل (محاليل) مغذية.

١١ - ما يدخل الجسم امتصاصا من الجلد كالدهونات والمراهم واللصقات العلاجية الجلدية المحملة بالمواد الدوائية أو الكيميائية.

١٢ - إدخال قثطرة (أنبوب دقيق) في الشرايين لتصوير أو علاج أوعية القلب أو غيره من الأعضاء.

١٣ - إدخال منظار من خلال جدار البطن لفحص الأحشاء أو إجراء عملية جراحية عليها.

١٤ - أخذ عينات (خزعات) من الكبد أو غيره من الأعضاء ما لم تكن مصحوبة بإعطاء محاليل.

١٥ - منظار المعدة إذا لم يصاحبه إدخال سوائل (محاليل) أو مواد أخرى.

١٦ - دخول أي أداة أو مواد علاجية إلى الدماغ أو النخاع الشوكي.

١٧ - القيء غير المتعمد بخلاف المتعمد (الاستقاءة).

ثانياً : ينبغي على الطبيب المسلم نصح المريض بتأجيل ما لا يضر تأجيله إلى ما بعد الإفطار من صور المعالجات المذكورة فيما سبق.

ثالثاً : تأجيل إصدار قرار في الصور التالية، للحاجة إلى مزيد من البحث والدراسة في أثرها على الصوم، مع التركيز على ما ورد في حكمها من أحاديث نبوية وآثار عن الصحابة.

أ - بخاخ الربو، واستنشاق أبخرة المواد.

ب - الفصد، والحجامة.

جـ - أخذ عينة من الدم المخبري للفحص، أو نقل دم من المتبرع به، أو تلقي الدم المنقول.

د - الحقن المستعملة في علاج الفشل الكلوي حقنا في الصفاق (الباريتون) أو في الكلية الاصطناعية.

هـ - ما يدخل الشرج من حقنة شرجية أو تحاميل (لبوس)

أو منظار أو إصبع للفحص الطبي.

و - العمليات الجراحية بالتخدير العام إذا كان المريض قد بيت الصيام من الليل، ولم يعط شيئاً من السوائل (المحاليل) المغذية.

والله أعلم.

****

الفهـــرس

الموضـــــوع	الصفحة
مقدمة	٥
الفصل الأول :	١١
• الصوم جُنَّة	١٣
• فقه الصحة في رمضان	٢٣
• المفطرات في مجال التداوي	٣١
الجهاز الهضمي	٤٩
البلعوم	٥٣
البلع (الازدراد).....	٥٤
المثانـة	٥٩
الفصل الثاني : مناقشة المفطرات في مجال التداوي وضابط المفطرات مما يصل إلى الجوف	٦٥
مذهب ابن حزم	٦٩
ترجيح ابن تيمية رحمه الله	٧١
الفصل الثالث : مناقشة المفطرات في مجال التداوي ضابط المفطرات مما يصل إلى الجوف	٨٩
(١) مايدخل الجسم عن طريق الجهاز التنفسي	٩٠
(٢) مايدخل الجسم عبر الفم والحلق.....	٩١

الموضـــوع	الصفحة

(٣) مايدخل إلى الدبـر ٩٢
(٤) مايدخل عن طريق الجهاز التناسلي للمرأة ٩٣
(٥) مايدخل إلى الجهاز البولي ٩٤
(٦) مايصل عبر الأذن ٩٤
(٧) تنظير البطن ٩٥
(٨) أخذ عينات (خزعات) من الكبد أو غيره من
الأعضاء ٩٦
(٩) إجراء غسيل الكلي البيروتوني ٩٦
(١٠) ما قد يصل إلى الجسم عبر الجلد ٩٧
(١١) ماقد يصل إلى الجسم عبر الأوعية الدموية ... ٩٨
(١٢) سحب الدم والحجامة والفصد ٩٩
• الدليل الطبي للمريض في شهر الصيام ١٠١
(١) مريض الجهاز الهضمي في شهر الصيام..... ١٠٣
(٢) مريض القلب في شهر الصيام..... ١٠٦
(٣) مريض الكلى في شهر الصيام..... ١١٠
(٤) مريض السكري في شهر الصيام ١١٣
(٥) مريض الصدر في شهر الصيام ١١٥
(٦) أمراض الغدد في شهر الصيام ١١٧
(٧) الأمراض العصبية والنفسية في شهر الصيام ... ١١٩
(٨) الحامل والمرضع في شهر الصيام ١٢٠

الموضـــوع	الصفحة

(٩) الرضاعة والصيام ١٢٢

- التداوي والمفطرات ١٢٣

الصوم الشرعي ١٢٥
ماهو الجوف ١٢٩
ماهي أجزاء البلعوم ١٣٠
مناظير الجهاز الهضمي ١٣٣
الغسيل الكلوي ١٤٠

- قرارات الندوة الفقهية الطبية التاسعة ١٤٣
- قرار مجمع الفقه الاسلامي بجدة ١٤٧

****